جامعة الجيلالي بونعامة -خميس مليانة-

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة :التاريخ

السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى
أواخر الحكم الوطاسي وبداية الحكم السعدي
نهاية القرن 15م بداية القرن 16م

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : حديث ومعاصر

إعـداد الطالبتين :

- عائشة العرجاني
- فتيحة هناوي

إشراف الأستاذة:

- مهدية طيبي

السنة الجامعية: 2017 - 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين:

عملا بقوله تعالى « **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** »

يسعدنا وقد أنهينا هذا العمل المتواضع بعون الله تعالى وتوفيقه على ما وهبنا من صبر وهدى في تخطي الصعاب لإنجاز هذه الدراسة.

أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير إلى الأستاذة المشرفة طيبي مهدية التي شرفتنا بقبولها الإشراف على هذه المذكرة وعلى دعمها وتوجيهاتها القيمة فجزاها الله عنا خير الجزاء ووفقها في إتمام رسالتها (الدكتوراه).

كما يسرنا أن نوجه أسمى آيات التقدير والعرفان إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة خميس مليانة الذين ساهموا في تكويننا سواءً في مرحلة الليسانس أو الماستر ونخص بالذكر الأستاذ محمود تركية والأستاذ بلعريبي نور الدين الذين لم يبخلوا علينا بمد يد العون لإتمام هذا البحث.

وفي الأخير نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد سواءً الأهل، الأقارب، الزملاء الأصدقاء على دعمهم المعنوي قبل الدعم المادي والفكري طيلة إعدادنا لهذه المذكرة.

إهـــداء

أهدي عملي هذا:

إلى من شرف الله قدرهما وقال في شأنهما:

« ...ولا تقلْ لهُما أفٍ ولا تنهرْهُما وقل لهُما قولاً كريمًا واخفضْ لهُما جناحَ الذلِ منَ الرحمةِ وقلْ ربِي إرحمْهُما كما ربياني صغيرًا...»

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالدعاء إلى أغلى إنسان أمي الحبيبة حفظها الله لي.

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم أدامه الله لي.

إلى من تقاسم معي حضن الوالدين:

إلى أخواتي: أحلام، فتيحة، أسماء، أمينة.

إلى إخوتي: سيد علي، عبد المالك، عبد القادر.

إلى شمس الدجى وزهر الربيع وريحان الوفاء ورفيق الدرب

إلى الروح التي سكنت روحي خطيبي يوسف وعائلته الكريمة.

إلى إبني أختي عبد النور وعبد الغني وكل فرد من عائلة العرجاني وحمرات.

إلى من جمعتني بهم مقاعد الدراسة ووطدت صداقتي بهم الأيام

إلى صديقاتي وزميلاتي وكل من يعرفني من قريب وبعيد

إلى كل الذين في قلبي ولم يخطهم حبر قلمي

عائشة

إهـــداء

مصداقا لقوله تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا »

أهدي ثمرة جهدي إلى من أحسن تربيتي. إلى من علمني أن الحياة حب وعمل وصبر وأمل إلى والديّ الكريمين اللذين أسأل الله أن يتغمدهما برحمته الواسعة ويسكنهما فسيح جناته.

إلى من جمعني معهم حضن واحد ورحم واحد، إلى من أجدهم بقربي في السراء والضراء.

إلى جميع إخوتي وأخواتي، إلى كل الأقارب والأهل من قريب ومن بعيد وأخص بالذكر أختي العزيزة خيرة التي سهرت على تربيتي، وألهمتني روح العطاء، وخالي عبد القادر بارك الله في عمره.

وإهداء خاص إلى من ساعدني وشاركني فرحتي وسعادتي، إلى خطيبي وزوجي عبد المنعم وعائلته الكريمة.

إلى من أكن لهم مشاعر الحب والوفاء، إلى كافة الزميلات والزملاء، وأخواتي في الله الذين لم يبخلوا عليّ بالدعاء والنصيحة.

إلى صديقتي الغالية سايبي ليلة.

إلى من مهّدوا الطريق أمامي للوصول إلى ذروة العلم والنجاح وكانوا معي دوما بخالص الدعاء.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

فتيحة

قائمة المختصرات

الرمز	الدلالة
تر	ترجمة
تص	تصحيح
ط	طبعة
دط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
دب	دون بلد
د د ن	دون دار نشر
تح	تحقيق
تق	تقديم
تن	تنقيح
ج	جزء
تع	تعليق
مج	مجلد

المقدمة

مقدمة:

شهد العالم مطلع القرن الخامس عشر ميلادي نزعة استعمارية في إطار حركة الكشوف الجغرافية للعديد من الدول الأوروبية الهادفة إلى فرض وجودها على الساحة الدولية للتخلص من الأزمات التي تعرضت إليها أوروبا خاصة الأزمة الاقتصادية الناتجة عن قلة الإنتاج وانكماش المبادلات التجارية وانخفاض الأسعار، الأمر الذي جعلها في أمس الحاجة إلى توفير المواد الأولية لحل مشاكلها الداخلية، هذا ما دفعها إلى تحويل أنظارها خارج أوروبا وذلك بتوسيع نفوذها السياسي على حساب المناطق المكتشفة في إطار الحركة الاستعمارية المدفوعة بالحقد الصليبي ومباركة البابوية ضد العالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة، وفي مقدمة هذه الدول الإمبراطورية البرتغالية السباقة في فرض سيطرتها على هذا الأخير عن طريق روادها الجغرافيين الذين حققوا نجاح واسع في هذا الميدان فكان المغرب الأقصى من بين الأقطار الذي خضع للحركة الاستعمارية، وذلك في إطار حروب الاسترداد ضد المسلمين، إذ يعتبر هذا القطر المحطة الأولى الذي وجهت إليه البرتغال أنظارها نهاية القرن 15م نظرا للأهمية التي تكتسيها هذه المنطقة، معتمدة في ذلك على سياسة استعمارية إستطانية تغيرت بتغير الظروف والأوضاع في المغرب الأقصى مستغلة في ذلك ضعف سلطته المركزية متخذة عدة أشكال، هذا ما جعلها محور دراسة العديد من المؤرخين والباحثين لمعرفة طبيعة هذه السياسة.

فكان الدافع الأول الذي حفزنا على دراسة هذا الموضوع الأستاذة المشرفة التي جلبت اهتمامنا لفتح صفحة من صفحات تاريخ المغرب الأقصى، والخوض في دراسة حقبة من حقباته التاريخية المتمثلة في الغزو البرتغالي للمنطقة مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م الذي شهدت فيه السياسة البرتغالية نشاط واسع، ورغم تخوفنا في بادئ الأمر من دراسة مثل هذه المواضيع إلاّ أن غمار البحث والإطلاع على مختلف الأحداث دفعنا لمعرفة طبيعة

هذه السياسة الممارسة في المغرب الأقصى خلال هذه الفترة من الزمن، هذا إلى جانب دوافع أخرى جعلتنا نسلط الضوء على هذا الموضوع منها رغبتنا في وضع بصمتنا في البحث التاريخي من خلال دراسة تاريخ المغرب الأقصى كونه جزء لا يتجزأ من المغرب العربي الذي لم يسلم هو الآخر من ويلات الإحتلال الأجنبي، خاصة وأن الدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ هذا القطر العربي في الجزائر ضئيلة مقارنة بتلك الدراسات الخاصة بتاريخ الجزائر، وما لفت إنتباهنا أكثر إلى التعمق في الأحداث الخاصة بالمغرب الأقصى إنفراده عن باقي أقطار العالم العربي في عجز الدولة العثمانية عن بسط سيطرتها على المنطقة بخلاف ما شهدته بلدان المغرب العربي التي خضعت للحكم العثماني ومما شجعنا على إنجاز هذا العمل الفرصة التي لم تمنح لناعبر مسارنا الجامعي خلال مراحل التدرج لإنجاز رسالة كعمل متواضع يؤهلنا للإرتقاء بالبحث العلمي.

وقد حددنا الإطار المكاني والزماني للموضوع من سنة 1472م أي من بداية الحكم المباشر للأسرة الوطاسية إلى غاية سنة 1578م وهو تاريخ وقوع معركة وادي المخازن وإنتهاء السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى الذي كان ميدان لتطبيق هذه السياسة، وذلك بضم إسبانيا للبرتغال بعد هزيمة هذه الأخيرة في وقعة وادي المخازن.

فكانت الإشكالية المطروحة كالتالي: فيما تمثلت مظاهر السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م؟ ما هي الأوضاع السائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب الأقصى خلال هذه الفترة؟ وكيف كان رد الفعل المغربي إزاء هذه السياسة؟ وإلى أي مدى نجحت السلطة المغربية في وضع حد للتدخل البرتغالي في شؤون البلاد؟.

أما بالنسبة للخطة المعتمدة في هذه الدراسة فقد احتوت على ثلاثة فصول، الفصل الأول بمثابة فصل تمهيدي بعنوان العلاقات البرتغالية المغربية أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م حاولنا من خلاله تقديم نبذة تاريخية عن الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة الإيبيرية

والمغرب الأقصى، والذي إحتوى على مبحثين، المبحث الأول خصصناه للحديث عن الأوضاع السياسية للبرتغال، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى أوضاع المغرب الأقصى أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م، أما الفصل الثاني الذي أدرجناه تحت عنوان السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى من 1523م إلى 1554م، الذي قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول تحدثنا فيه عن السياسة البرتغالية في عهد أبو العباس أحمد الوطاسي، وفي المبحث الثاني حاولنا إبراز الصراع السعدي الوطاسي، أما الفصل الثالث الذي وضعناه تحت عنوان السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى بعد سنة 1554م، الذي إحتوى على مبحثين الأول أشرنا فيه إلى السياسة البرتغالية من 1554م إلى 1578م، أما المبحث الثاني بعنوان معركة وادي المخازن 1578م التي تعد المحطة الأخيرة للتواجد البرتغالي في المغرب الأقصى وفي الأخير أنهينا هذا العمل بخاتمة قدمنا من خلالها أهم النتائج التي توصلنا إليها وأرفقنا ذلك بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع، إلى جانب قائمة بيبليوغرافية من مصادر ومراجع اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

كما إعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، حيث استعنا بالأول لتتبع الأحداث التاريخية للأوضاع السياسية في شبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب الأقصى، أما المنهج الثاني (التحليلي) لتحليل مظاهر السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى بهدف الإجابة عن الإشكالية المطروحة والوصول إلى النتائج المرجوة من الدراسة.

أما بخصوص المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة فقد إعتمدنا على الكثير من المصادر التي تناولت موضوع دراستنا لعل أهمها كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري إقتصرنا على جزئين منه خدم موضوع بحثنا ج4 الخاص بالوطاسيين وج5 بالأشراف السعديين، حيث أفادنا هذا الكتاب كثيرا فيما يخص الإضطرابات السياسية في المغرب الأقصى إبان الحكم الوطاسي السعدي التي مهدت للغزو البرتغالي لهذه المنطقة وإحكام سيطرته على جل الثغور المغربية، إضافة إلى كتاب الدولة السعدية التكمدارتية

لمؤرخ مجهول الذي زودنا بمعلومات مفصلة عن الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى وعلاقته مع دول شبه الجزيرة الإيبيرية، والقشتالي في كتابه مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء الذي أفادنا في التعريف ببعض الشخصيات المغربية والبرتغالية، كما زودنا بمعلومات هامة حول مجريات معركة وادي المخازن، إضافة إلى مجموعة من المراجع نعدد منها عبد الهادي التازي في كتابه التاريخ الدبلوماسي للمغرب الذي قدم لنا صورة واضحة عن طبيعة السياسة البرتغالية المنتهجة في المغرب الأقصى وعبد الكريم كريم في كتابه المغرب في عهد الدولة السعدية.

أما عن الصعوبات التي إعترضتنا في مجال هذا البحث انعدام المطبوعات الورقية بخصوص المصادر والمراجع المعتمدة، هذا ما جعلنا نقتصر على الكتب الإلكترونية إلى جانب صعوبة الحصول على الكتب الأجنبية مثل كتاب قيام الدولتين الشريفتين بالمغرب لمؤلفه أوغيست كور، وكتب أجنبية أخرى إستعصت علينا ترجمتها للعربية، أما عن أهم صعوبة إعترضتنا والتي لم يسلم منها أي باحث تاريخي وهي ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالتعمق أكثر في الدراسة.

وفي الأخير نأمل أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد أعطت للموضوع حقه في البحث العلمي، فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطئنا فمن أنفسنا واجتهادنا، كما لاننسي أن نشكر كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد.

الفصل الأول

العلاقات البرتغالية المغربية أواخر القرن 15 وبداية القرن 16 ميلادي.

المبحث الأول

أوضاع البرتغال السياسية.

المبحث الثاني

أوضاع المغرب السياسية أواخر القرن 15 وبداية القرن 16ميلادي

كانت لهزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 1212م إيذانا باضمحلال دولتهم، وضعف كيانهم، وبسقوطها سنة 1269م، أدى ذلك إلى ظهور مجموعة من الدول في المغرب بسطت نفوذها وسلطتها على أنقاض الموحدين منها الحفصيون في المغرب الأدنى والزيانيون في المغرب الأوسط والمرينيون في المغرب الأقصى هاته الأخيرة التي حاولت الدفاع عن الحكم الإسلامي في الأندلس، وحماية ما تبقى من أراضيه فيها ولكن ذلك لم يدم طويلا خاصة أواخر الحكم المريني واعتلاء مجموعة من الحكام الضعاف للسلطة في المغرب الأقصى مما أثر سلبا على الدولة المرينية، الأمر الذي استغلته الممالك النصرانية في إعلان توحيد ممالكها والقضاء على حكم الوطاسيين فيها وذلك بسقوط غرناطة سنة 1492م التي كانت إيذانا على إعلان الحرب ضد المسلمين وما لقيوه من اضطهاد وممارسات مجحفة أظهرت مدى الحقد الصليبي على المسلمين، هذا ما أدى إلى بروز قوتين في شبه الجزيرة الإيبيرية المتمثلة في الإمبراطورية البرتغالية والإسبانية ومحاولة كل منهما السيطرة على مناطق العالم الإسلامي، الأمر الذي أزّم من حدة التنافس بينهما في تقسيم مناطق النفوذ، ذلك كله في ظل ضعف السلطة في المغرب عامة، والمغرب الأقصى خاصة ويظهر ذلك جليا بعد اعتلاء الوطاسيين لحكم مدينة فاس في الوقت الذي كانت فيه البلاد تعاني إضطرابات داخلية وعدوان خارجي، مما سهل من مهمة السيطرة على ثغورها الساحلية. فما هي الأوضاع السائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب الأقصى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي؟

المبحث الأول: أوضاع البرتغال السياسية

شهدت البرتغال وحدة سياسية متكاملة منذ القرن الثالث عشر ميلادي وبروزها كقوة في شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك في إطار الحروب الصليبية، هاته النقطة التي أفاضت الكأس ودفعت بها إلى تغيير سياستها، متخذة من حركة الكشوف الجغرافية ركيزة لتوسيع نفوذها.

1.في عهد جان الثاني 1477م-1495م:

من أسرة أفيس[1]، إعتلى عرش مملكة البرتغال في الفترة ما بين1477م-1495م إبن ألفونسو الخامس[2]، تداخل حكمه مع حكم والده، تابع حركة الكشوف الجغرافية التي قام بها هنري الملاح[3] إبن يوحنا الأول[4] ملك البرتغال، دعم رحلات برثليود دياز[5] في كشوفاته

---

[1]- **أسرة أفيس:** هي أسرة ملكية برتغالية، تزعمت حكم مملكة البرتغال في أواخر القرن الرابع عشر ميلادي في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية، كان أول ملوك البرتغال من هذه الأسرة يوحنا الأول سنة 1385م، كان للصراع القائم بين مسلمي الأندلس وإسبانيا دفعا في توجيه أنظارها بحرا للتوسع على حساب القارة الإفريقية، إكتسب أفرادها نزعة صليبية وحماس شديد لغزو المسلمين. للمزيد أنظر: عبد القادر العافية، «الإحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن»، دعوة الحق 8، الرباط،(1398هـ، 1978م)، ص102.

[2]- **ألفونسو الخامس:** ملك البرتغال الملقب بالإفريقي لأجل غزوه إفريقيا، الحادي عشر في سلسلة ملوك البرتغال والثالث في أسرة أفيس، ابن الملك إدوارد، توفي في 24 أوت 1481م. للمزيد أنظر: جلول بن قومار، معركة وادي المخازن وأثرها على العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا: البرتغال-إسبانيا-فرنسا، 986هـ-1578م/ 1012هـ-1603م، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، جامعة غرداية، سنة 2010-2011م، ص48.

[3]- **هنري الملاح:** هو الإبن الثالث للملك يوحنا الأول الذي كان له خبرة سابقة بالشاطئ الإفريقي ومعلومات عن طريق الذهب التي استقاها أثناء الصراع بين ممالك شبه جزيرة إيبيريا ضد عرب إسبانيا، ولتحقيق غرضه أقام مدرسة في ساجراس على ساحل البرتغال لتدريس الجغرافيا وجمع كتاباتها وإرسالها لقواد بعثاتة الكشفية، توفي سنة 1460م. للمزيد أنظر: عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، (دط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000م) ص140.

[4]- **يوحنا الأول:** حكم مملكة البرتغال ما بين 1385-1433م، إعتمد في سياسته على تحويل أنظار البرتغاليين إلى محاصرة العالم الإسلامي وتطويقه من خلال العديد من الشعارات من بينها قوله إن ميدان الجهاد ضد المسلمين في إفريقيا هو الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد الأسرة الحاكمة أوسمة الفخار. للمزيد أنظر: عبد القادر العافية "الإحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن"، دعوة الحق، مقال سبق ذكره، ص102.

[5]- **برثلميود دياز:** مستكشف برتغالي، أول أروبي يبحر حول الطرف الجنوبي من إفريقيا بهدف الوصول إلى الهند عن طريق البحر، نجح في ذلك من خلال إرتياد الساحل نحو الجنوب حتى وصل إلى خليج أطلق عليه اسم رأس الزوابع عائدا بعدها إلى البرتغال سنة 1488م، إلا أن الملك يوحنا الأول غير تسميته إلى رأس الرجاء الصالح. للمزيد أنظر: أشرف صالح محمود السيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث، (ط1، قطر: دار واتا للنشر الرقمي، 2009م)، ص72.

لعبور جنوب القارة الإفريقية بثلاثة سفن محملة بالمؤونة لمدة ثلاثة أعوام[1]، سعى خلال فترة حكمه إلى بسط النفوذ البرتغالي في المغرب الأقصى على مينائي أسفي وأزمور ولتحقيق ذلك قام بعقد إتفاقيات ومعاهدات مع شيوخ القبائل المجاورة لهذه الموانئ، مما منح للبرتغال بعض الإمتيازات فيها[2]، متخذينها فيما بعد كقواعد للتوسع على حساب السواحل الإفريقية الغربية مكتشفين طرقا جديدة لعبور المحيط الهندي[3].

2.في عهد مانويل الأول: 1495–1521م:

من أسرة أفيس، إعتلى عرش البرتغال فيما بين 1495–1521م، شهدت البرتغال في عهده توسعا على العالم الإسلامي بشقيه الشرقي والغربي وذلك بسيطرته على عدن وهرمز[4]، للتحكم في التجارة الشرقية[5]، كما بسط نفوذه في المغرب الأقصى على كل من ميناء أسفي وأزمور والصويرة وأغادير وذلك بإستغلال ضعف السلطة في المغرب والصراعات الداخلية لبسط السيطرة البرتغالية على المغرب الأقصى، لذلك أعتبر عصره قمة ما وصل إليه النفوذ البرتغالي[6].

3.في عهد جان الثالث: 1521–1558م:

تولى حكم البرتغال ما بين 1521–1558م، خلفا لوالده مانويل الأول على عرش البرتغال، شهد عهده استنزاف الكثير من الموارد البشرية بسبب الحروب وسوء الحالة

---

(1)– شوقي أبو خليل، وادي المخازن–معركة الملوك الثلاث–القصر الكبير، (ط1، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1409هـ 1988م)، ص22.

(2)– شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، (ط1، القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية، 1977م)، ص51.

(3)– محمود شاكر، الكشوف الجغرافية–دوافعها– حقيقتها، (ط2، بيروت دمشق: المكتب الإسلامي، 1408هـ، 1988م) ص23.

(4)– **هرمز:** هي جزيرة مدينتها تسمى جرون، وهي مدينة كبيرة لها أسواق حافلة، يقبل التجار عليها من الهند وسفنهم محملة بالتوابل والأحجار الثمينة والأقمشة والعاج، ومنها تحمل إلى العراقين، خراسان والعراق. للمزيد أنظر: إبن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، فه: مصطفى القضاص، (ط1 بيروت: دار إحياء العلوم، 1407هـ، 1987م)، ج1، ص271.

(5)– شوقي أبو خليل، وادي المخازن، مرجع سبق ذكره، ص22.

(6)– شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سبق ذكره، ص51، 52.

الاقتصادية في ظل المنافسة الإسبانية ورد الفعل المغربي العنيف من جهة، وظهور الدولة العثمانية، التي امتد نفوذها إلى المغرب الأوسط من جهة أخرى[1]، مما جعل مملكة البرتغال في عهده تشكو بصفة دائمة من عجز مالي حتى خلال فترات الإزدهار التجاري نظرا للمصاريف الكبيرة التي كان يقوم بها القصر المتمثلة في مصاريف إقامة النبلاء بالبلاط وزفاف الأميرات والأمراء والعطاءات المقدمة للنبلاء إضافة إلى مصاريف الأساطيل والثغور المغربية والمستعمرات الأخرى، هذا ما دفع بالملك جان الثالث للجوء إلى القروض المالية التي قدرت سنويا بحوالي أكثر من أربعين مليون برتغالي[2]، إلى جانب قلة عدد الحاميات البرتغالية في الثغور المغربية وتركيز جهده في مناطق أخرى من الشرق والعالم الجديد التي كانت البرتغال قد سيطرت عليها، الأمر الذي وضع الملك جان الثالث بين أمرين إما البقاء أو الجلاء من سواحل المغرب الأقصى، وفي هذا الصدد إستشار بعض رجال حاشيته الذين وجدوا في إخلاء بعض الثغور تخفيفا على عبئ مملكته، على أن ذلك لا يؤثر على مصالح البرتغال ما عدا الإحتفاظ فقط بمدينة سبتة[3]، فيما اقترحت فئة أخرى الإحتفاظ بالمواقع المغربية وتحصينها بوسائل جديدة، بينما فضل البعض الآخر عدم إبداء أي حكم حول فكرة الجلاء أو البقاء، ورغم تعدد الآراء إلا أن الملك جان الثالث فضل إخلاء بعض الثغور المغربية وكان ذلك سنة 1534م[4].

4. التنافس البرتغالي الإسباني في توسيع مناطق النفوذ:

شهد التنافس البرتغالي الإسباني منافسة حادة حول مناطق النفوذ الذي بلغ ذروته مع نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، بهدف إنشاء إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف في إطار الكشوف الجغرافية بدوافع صليبية.

---

(1)– عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سبق ذكره، ص63.

(2)– أحمد بوشرب، دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، (ط1، المغرب: دار الثقافة، 1404هـ 1984م) ص415.

(3)– **سبتة:** استحوذ عليها الأسطول البرتغالي سنة 818هـ الموافق لـ 1415م، فر من كان بها ودخلها النصارى دون عناء ومكثوا فيها نحو ثلاثة أسابيع في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان. للمزيد أنظر: الحسن ابن محمد الوزان الفاسي وصف إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، (ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م)، ج2، ص318.

(4)– عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص65–68.

1.4.توحيد مملكتي قشتالة وأراغونة:

بحلول عام 874هـ الموافق لـ 18 أكتوبر 1469م شهد العالم الأروبي والإسلامي وحدة إسبانيا النصرانية وذلك بزواج فرناندو[1] حاكم أراغونة من إيزابيلا[2] حاكمة قشتالة، مما ترتب عنه إمتزاج قوة مملكة الأراغونة البحرية بإمتلاكها صقلية ونابولي بالقوة العسكرية لمملكة قشتالة[3]، وبذلك إنتهى عهد الفتنة والخصومات الداخلية بجلوس الملكين على عرش إسبانيا المتحدة، فكان أولى أهدافهما إخراج المسلمين من الأندلس[4]، بعد أن دانت لهما سائر الثغور والقواعد الأندلسية الجنوبية والشرقية، ولم يبقى سوى الإستلاء على غرناطة[5] آخر القواعد الباقية بيد المسلمين، هذا المشروع الذي سخر له الملكين كل جهودهما لإنجاحه[6] في الوقت الذي كانت فيه مملكة غرناطة تعاني من تأزم الأوضاع

---

(1)- **فرناندو:** ولد في مملكة الأراغون سنة 1452م، ابن خوان الأول ملك أراغون، ملَك فرناندو أرغوانة سنة 1479م بعد زواجه من إيزابيلا بعشر سنوات فصارا ملكين للأراغون وقشتالة، قادا الحرب ضد المسلمين الغرناطيين حتى سقوطها سنة 1492م. للمزيد أنظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس، (ط1، د ب: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م)، ص33.

(2)- **إيزابيلا:** ولدت سنة 1451م، إبنة خوان الثاني ملك قشتالة، تزوجت الدون فرناندو سنة 1469م، بعد موت أخيها أنريكي الرابع 1474م، إستلمت العرش مكانه، وبعد زواجها بملك الأراغونة أصبحت وزوجها يعرفان بالملكين الكاثولكيين. للمزيد أنظر: جمال يحياوي، المرجع نفسه، ص33.

(3)- محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضد المسلمين في إسبانيا، (ط1، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2011)، ص16.

(4)- **الأندلس:** مشتقة من القاندالس، هم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر لاورد ونهر القاندالس في شرقي الماية وبفتح العرب لإسبانيا أطلق عليها إسم الأندلس لجميع الجزيرة الإيبيرية. للمزيد أنظر: أمير شكيب أرسلان، الحلّ السندسية في أخبار وأثار الأندلسية، (ط1، مصر: المطبعة الرحمانية، 1355هـ، 1936م)، ج1، ص32.

(5)- **غرناطة:** هي مدينة قديمة من العصر الروماني تقع جنوب إسبانيا على بعد 70كلم، من أشهر بلاد الأندلس، وقيل أن الصواب أغرناطة بالهمز، ومعناها الرمانة، دامت في حكم المسلمين من 1223-1492م، حكمها بني الأحمر لمدة تزيد عن قرنين ونصف من الزمن حتى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، يمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس. للمزيد أنظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، تح: إحسان عباس، (دط، بيروت: دار صادر، 1408هـ، 1988م)، مج1، ص147، عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة .، (ط2، دمشق بيروت: دار القلم، 1402هـ، 1981م)، ص40.

(6)- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، (ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ، 1997م)، ص185.

السياسية وإستفحال الثورات والاضطرابات بين بني نصر وكثرة النزاعات فيما بينهم حول العرش في عهد أبو الحسن علي[1] الذي لم يتمكن من إخمادها والسيطرة عليها[2]، توفيت الملكة إيزابيلا سنة 1506م وهي توصي بمتابعة الحرب ضد المسلمين قالت فيها « ...إنني أرجو من الأميرة إبنتي وزوجها وآمرهما بالطاعة لوصايا الكنيسة أمّنا المقدسة فعليهما أن يقوما بحمايتها وأن لا يكفا عن متابعة فتح إفريقية ومحاربة الكفار....»[3]، كما توفي الملك فرناندو الكاثوليكي سنة 1506م يوصي أولاده قائلا «...عليكم أن تعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية»[4].

2.4. سقوط غرناطة:

يعتبر سقوط غرناطة حدا فاصلا في تاريخ الإسبان والعرب على حد سواء إذ إعتبرها الإسبان آخر حاجز أمامهم لتوحيد بلادهم في حين إعتبرها العرب مؤشرا على زوال سلطتهم[5]، ومن الأسباب التي عجلت بسقوطها تفكك بلاد الأندلس خلال عصر الطوائف[6] وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية، حيث أصبح حكم البلاد منقسما إلى طوائف من الموالي والوزراء والكبار من العرب وغيرهم، وقيام كل واحد منهم بأمر ناحية منها وتغلب بعضهم

---

(1)– **أبو الحسن علي:** يعرف لدى الإسبان باسم مولاي الحسن Muley Hacén، ولد سنة 1431م ابن سعد بن علي إعتلى عرش غرناطة في سنة 1471م بعد خلع والده عن الحكم ليحل محله بعد أن قام بنفيه إلى مدينة شلوبانيه. للمزيد انظر: محمد عبده حتاملة، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها،(ط1، الأردن: دار الشعب،1397هـ،1977م) ص07.

(2)– عبد الحكيم الذنون، آفاق غرناطة، (ط1، دمشق: دار المعرفة، 1408هـ، 1988م)، ص45.

(3)– محمود عقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، (ط6، الجزائر: مكتبة أخلو المصرية، 1993م)، ص15.

(4)– محمد عبده حتاملة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولكيين 1474م–1516م، (ط1، عمان: الجامعة الأردنية، 140هـ، 1980م)، ص114.

(5)– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م، (ط3، دار البيضاء: إفريقيا الشرق 1998م)، ص52.

(6)– **عصر الطوائف:** انقسمت بلاد الأندلس خلال عصر الطوائف إلى إمارات يحكمها ملوك الطوائف لدول متعددة، لكل دولة حاكم وإدارة وجيش وحياة أدبية وفكرية شبه مستقلة. للمزيد أنظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، (ط1، عمان: دار الشروق، 1997م)، ص07.

على بعض[1]، مما أدى إلى زيادة عدد الممالك والدويلات التي أقامها ملوك الطوائف إلى إثنين وعشرين دولة عرّضت الأندلس بسبب التفكك والإضطراب لأطماع الإسبان خاصة بعد التوحيد الذي عرفته إسبانيا بين مملكة الأراغونة وقشتالة وسعى كل من فرناندو وإيزابيلا إلى تغذية الخلافات بين المسلمين[2]، ذلك كله في ظل الأزمات السياسية والإجتماعية التي كان يمر بها المغرب آنذاك حالت دون تقديم الدعم لمسلمي الأندلس خاصة المغرب الأقصى الذي كان يعاني مرحلة ضعف الدولة المرينية ومن ثم سقوطها في بداية القرن الخامس عشر ميلادي وبذلك فقد المسلمون في إسبانيا سندا كبيرا باضمحلالها، حيث كان بني مرين[3] يرون أن الجهاد في الأندلس أولى أهدافهم لكن بخلافة الوطاسيين[4] لهم فتر إهتمامهم بأمور الجهاد فيها[5]، وبحلول أفريل 1483م إستطاع الملكين الكاثولكيين السيطرة على مدن غرناطة، ففي 1487م مالقة، ثم تلتها بسطة [6] 1489م...الخ، ولم يبقى أمام فرناندو إلا مملكة غرناطة التي سار إليها مطلع سنة 1491م بجيش قوامه ما بين خمسين إلى ثمانين ألف من الفرسان والمشاة[7]، ولشدة المقاومة لم يتمكن من دخولها، فضرب عليها

---

(1)– أنطونيو دوميقير هورتز، برنارد بنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس المورسكيون، حياة... ومأساة أقلية، تر: عبد العال صالح طه، تن: محمد محي الدين الأصفر، (ط1، الدوحة: دار الشروق، 1408هـ، 1988م)، ص05.

(2)– محمد عبده حتاملة، الإعتداءات الإفرنجية الصليبية على ديار العرب في الأندلس والمشرق، حرب متواصلة على الإسلام، (ط1، عمان: الجامعة الأردنية، 1422هـ، 2001م)، ص12، 13.

(3)– **بني مرين:** سلالة من البربر، أولاد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ... وأعلى قبائل زناتة حسبا وأشرفها نسبا وأعزها كرما حكمت مراكش من سنة 1195م إلى سنة 1468م، قامت دولتهم عل أنقاض دولة الموحدين، إحتلوا مراكش سنة 1269م إتخذوا فاس عاصمة لهم. للمزيد أنظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (دط، الرباط: دار المنصور، 1392هـ، 1972م)، ص13، 14، ابن بطوطة، تحفة النظار، مصدر سبق ذكره، ص15.

(4)– **الوطاسيين:** هم فخذ من بني مرين، كانت الرياسة فيهم لبني الوزير، الذين يزعمون أنهم من أعقاب يوسف ابن تاشفين ثاروا على المرينيين بحصن تازوطا سنة 1291م ضد منصور ابن عبد الواحد في عهد عمه يوسف بن يعقوب المريني. للمزيد أنظر: عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضرية،(دط، المحمدية: دار الحديث الحسنية ،1401هـ،1981م)، ج4، ص279.

(5)– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، مرجع سبق ذكره، ص53.

(6)– **بسطة:** تقع في شمال شرقي غرناطة على ضفة نهر سمي باسمها، وهي مفتاح المنطقة الشرقية كلها. للمزيد أنظر: أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، (ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1988)، ص127.

(7)– جمال يحياوي، سقوط غرناطة، مرجع سبق ذكره، ص37.

حصارا دام سبعة أشهر، كما وردت في كتاب نبذة العصر لمؤلف مجهول في قوله «... ما تزال الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى واشتد القتال بين الطرفين سبعة أشهر إلى أن فنيت خيل المسلمين ولم يبقى منها إلا القليل...»[1] مما دفعهم إلى تسليم غرناطة بموجب معاهدة بتاريخ 21 محرم 897هـ الموافق لـ 25 نوفمبر 1491م تضمنت سبعة وستون شرطا[2]، منها على ملك غرناطة والقادة والفقهاء والحجاب والعلماء والمفتين والوجهاء بمدينة غرناطة والبيازين وضواحيها، أن يسلموا إلى الملكين الكاثولكيين أو من ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة أقصاها ستون يوما، معاقل الحمراء، البيازين وأبواب تلك المعاقل وأبراجها وأبواب المدينة، والتي تبعتها معاهدة سرية احتوت على ستة عشر مادة[3] تضمنت حقوق وواجبات وامتيازات منحت لأبي عبد الله الصغير[4] ملك غرناطة احتوت أولا الاعتراف بطاعة الملكين الكاثولكيين، مع دفع جزية سنوية قدرها اثني عشر ألف دوبلة من ذهب، إضافة إلى الإفراج عن 400 أسير مسيحي في غرناطة وإطلاق سبعين أسير كل سنة لمدة خمس سنوات، ذلك كله على أن يقدم أبو عبد الله ولده الأكبر مع عدد من أبناء الأمراء كرهائن لضمان حسن الوفاء، أما فيما يخص الملكين الكاثولكيين فقد نصت المعاهدة على الإفراج عن أبي عبد الله في الحال على أن يدعم الملكان الكاثولكيان أبا عبد الله في إخضاع المدن الثائرة واعتراف

---

(1)– مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب،تع: ألفريد البستاني، (ط1، دب: مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ، 2002م)، ص39.

(2)– محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ– الحضارة– المحنة، (دط، عمان: مصالح الدستور التجارية، 1420هـ، 2000م) ص621.

(3)– حتاملة، الإعتداءات الإفرنجية، مرجع سبق ذكره، ص88–98.

(4)– **أبي عبد الله الصغير**: يسميه المؤرخون ببدول أو الصغير، ابن مولاي أبي الحسن ملك غرناطة، أمه عائشة الحرة لقب بالزغيب أي قليل الشعر اللامحظوظ، كما عرف بالصغير تميزا له عن عمه الأكبر الزغل، عقد معاهدة لتسليم غرناطة مع الملكين الكاثولكيين إيزابيلا وفرناندو سنة 1491م وبموجبها سلم مفاتيح غرناطة للملكيين. للمزيد أنظر: واشنطن إيرڤنغ أخبار سقوط غرناطة، تر: هاني يحي نصري، (ط1، دب: مكتبة الإسكندرية، 2000م)، ص95، 96.

هاته الأخيرة بسلطة ملكي قشتالة بعد إخضاعها[1]، وفي 02 ربيع الأول 897هـ الموافق لـ 02 جانفي 1492م، سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس بيد الإسبان[2].

3.4. مصير الأندلس بعد سقوط غرناطة:

بعدما أصبحت غرناطة في يد السلطات الإسبانية ورفعها لشعار المسيح والتنصير اضطر مسلمي الأندلس إلى الهجرة والفرار لأقطار مختلفة، ومن بينها المغرب الأقصى وذلك لقرب المسافة، هذا الأخير الذي كان يعاني أزمات سياسية خاصة مدينة فاس التي شهدت في تلك الفترة حالة من الاضطرابات الداخلية أدت إلى انتشار الفوضى والفتن وتجزئة المغرب إلى وحدات سياسية شبه مستقلة في شرق المغرب وجنوبه، مما أثر سلبا على جميع الميادين الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[3]، الأمر الذي دفع البعض من المسلمين للبقاء في الأندلس واعتمدوا أسلوب التقية [4] لتجنب التنصير الإجباري [5]، وسميوا

---

[1]– حتاملة، محنة مسلمي الأندلس، مرجع سبق ذكره، ص30.

[2]– أبي العباس أحمد ابن محمد الكردودي، التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبانولية، (دط، الرباط: المطبعة الملكية، 1383هـ، 1963م)، ص67.

[3]– عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، (ط3، الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، 1427هـ، 2006م) ص16.

[4]– **التقية:** لغة هي المداراة والكتمان والسرية والتظاهر بما ليس هو الحقيقة، إصطلاحا هي ذلك الفعل الذي يمنع المسلم من ممارسة دينه بحرية في بيئة عدائية، متظاهرا باعتناق الدين المفروض عليه فرضا. للمزيد أنظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة، مرجع سبق ذكره، ص55.

وقد جاء في القرآن الكريم إشارة إليها في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾، سورة غافر الآية 28.

وفي الحديث الشريف ما جاء في قول النبي عليه الصلاة والسلام، «إِنَ الله أَمَرَنِي بِمُدَارَاةِ النَاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِإِقَامَةِ الفَرَائَضْ».

[5]– **التنصير الإجباري:** قام على سياسة الإضطهاد والتعميد الإجباري لمسلمي الأندلس، وتنصير الأحياء الخاصة بهم التي أطلق عليها تسمية موريريا. للمزيد أنظر: عبد الله عنان، دولة الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص326، جمال يحياوي سقوط غرناطة. مرجع سبق ذكره، ص102.

بالمدجنون[1]، حيث سادت خلال هذه المرحلة النزعة الصليبية والتحالف ضد المسلمين في إطار ما عرف بحروب الإسترداد[2] بين سنتي 1484م-1492م حيث تعرض المورسكيين[3] إلى التشريد والقمع من طرف السلطات الإسبانية، واتخذ عدة أشكال منها القهر والإذلال والسجن والتعذيب والتنصير الإجباري، كما وردت في كتاب نبذة العصر لمؤلف مجهول في قوله «....زالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدركهم الهوان والذل واستطال النصارى عليهم.... وثقلت عليهم المغارم وقطع لهم الأذان في الصوامع وأمرهم بالخروج من مدينة غرناطة إلى الأرباض والقرى، دعاهم إلى التنصير وأكرههم عليه...»[4] وما زاد الطين بلة توالي إصدار اللوائح الملكية[5] المشبعة بالنزعة الصليبية، وكرد الفعل على هذه القرارات الجائرة والتي شكلت عبئا على مسلمي الأندلس قاموا بعدة ثورات منها انتفاضة البيازين 1499م وثورات البشرات 1501م[6] بالإضافة إلى مطاردة المورسكيين ونهب أراضيهم بين

---

(1)- **المدجنون:** أي الذين آثروا التدجن والبقاء في إسبانيا بعد سقوط مملكة غرناطة الذين لم يتمتعوا بحرية في ممارسة أعمالهم وعباداتهم وأحوالهم ومعاملاتهم، مما أدى إلى إنصهار الكثير منهم في ذلك المجتمع. للمزيد أنظر: محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص15.

(2)- **حروب الإسترداد:** بمعنى الإستلاء على الأراضي والحواضر التي يحكمها المسلمون. للمزيد أنظر: العيدروس، المرجع نفسه، ص16.

(3)- **المورسكيين:** Moriscoc هي تصغير لكلمة موروس، وهم المسلمون الأصاغر والعرب المتنصرين، أطلقت التسمية على مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة في يد الملكين الكاثولكيين سنة 1494م، فالمورسكوس مصطلح إسباني، إذ يرى بعض المؤرخين أن أصل الكلمة لاتيني إغريقي مشتق من كلمة موري MOURI، وهي تطلق على أصحاب البشرة السوداء في حين يرى البعض الآخر أن كلمة المورسكيين كلمة إسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد وعمدوا بعد توحيد إسبانيا. للمزيد أنظر: عنان، مرجع سبق ذكره، ص322، جمال يحياوي، سقوط غرناطة، مرجع سبق ذكره، ص41، 42.

(4)- مؤلف مجهول، نبذة العصر، مصدر سبق ذكره، ص44.

(5)- **اللوائح الملكية:** هي لوائح قانونية صارمة تجاه المورسكيين، صدرت ما بين 1500 حتى 1502م، ومجموعة أخرى فيما بين 1511م و1526م، حددت السياسة العامة ضد مسلمي الأندلس قامت على تحديد استعمال ملابس المورسكيين وتغير اللغة والشعائر الدينية. للمزيد أنظر: انطونيو دوميقير هورتز، برنارد بنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس، مرجع سبق ذكره ص25.

(6)- أسعد حومد، محنة العرب، مرجع سبق ذكره، ص270-274.

سنتي 1559م و1568م وهذا أحد قرارات محاكم التفتيش[1] التي أذاقت لمسلمي الأندلس ويلات الإضطهاد والتعذيب والتنكيل جعلت جلّ المؤرخين يصفون هاته المرحلة بمأساة العرب في الأندلس.

4.4. تقسيم مناطق النفوذ بين إسبانيا والبرتغال:

في الوقت الذي كانت فيه البرتغال تسعى لبناء إمبراطوريتها في إطار الكشوف الجغرافية، كانت إسبانيا قد حققت كيانها بإفتكاك غرناطة، وسعيها إلى توسيع نفوذها في ظل حروب الإسترداد، هاته المنافسة بين القوتين أدت إلى التصادم بين الطرفين مما استوجب تدخل الكنيسة–البابا إسكندر السادس– لفض النزاع بينهما[2]، وذلك بإجراء مفاوضات بين إسبانيا والبرتغال نتج عنها توقيع معاهدة طوردي سيلاس في7 جوان 1494م، صادقت عليها إسبانيا في 2 جويلية 1494م، والبرتغال في 5 سبتمبر 1494م[3] والتي بموجبها تم تقسيم المستعمرات بين الطرفين إلى شرق حجر بادس[4] يتولى فيه الإسبان حرب الإسترداد، وغرب حجر بادس تركت للبرتغال[5]، وفي سنة 1524م عدلت هذه المعاهدة من قبل البابا حيث منح للإسبان مناطق جديدة كانت بحوزة البرتغال[6]، ثم أضيفت لها معاهدة سينترا Sintra الموقعة سنة 1509م الخاصة بالمغرب الإسلامي والتي أطلقت يد الإسبان بسواحل المغرب الشرقية في كل من الجزائر، تونس، طرابلس في حين منحت أقاليم

---

(1)– **محاكم التفتيش:** أسست في إسبانيا في عهد الملكين الكاثولكيين سنة 1480م، أنشئت أول محكمة تفتيش في إشبيلية كان أول نشاط لها في قشتالة لمطاردة اليهود المتنصرين، ثم توسع نشاطها لمطاردة المسلمين. للمزيد أنظر: محمد رزوق الأندلسيون وهجراتهم، مرجع سبق ذكره، ص61،62.

(2)– حتاملة، الأندلس التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص33.

(3) –Frances Gardiner Davenport, European Treaties Bearing on The History of the unied States and its Dependencies to 1648, Wachingtion, 1917,P84.

(4)– **بادس:** مدينة على ساحل البحر المتوسط، يسميها الإسبان " فليس دولا كومبرا " ينسبها البعض إلى الأفارقة والبعض الآخر إلى القوطيين، تقع بين جبلين شاهقين. للمزيد أنظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص325.

(5)– محمود عقاد، المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص15.

(6) -Diffie Bailey, Wlnius George, the formation of the portuguese colonial Empire, London, 1920,P19.

المغرب الأقصى للبرتغال[1]، متخذة من خط طول 02 شرقا كحد فاصل مع إمتداد ساحلي في المغرب يجعل مليلة، بادس، غمارة وقلعة سانتا كروز[2] بجنوب مراكش ضمن الأملاك الإسبانية، ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى إبرام هذه الإتفاقية تضارب وتضاد الأهداف التوسعية البرتغالية والإسبانية حول مناطق النفوذ والروح الصليبية المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين، مما نتج عنها تحول سياسة الهجوم الإسلامي إلى الدفاع أمام القوى الإيبيرية وتطويق بلاد المغرب واحتلال الموانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، كما منحت لإسبانيا حق السيطرة على المغرب الإسلامي بأكمله على غرار المغرب الأقصى[3].

5.4. الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى:

1.5.4. أسباب الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى:

ساهمت جملة من العوامل في الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى، والتي تمثلت فيما يلي:

1.1.5.4. الأسباب الدينية:

تعتبر الروح العصبية المتأصلة في البرتغال من أهم الدوافع التي حفزتها على غزو المغرب، حيث كان التعصب الديني سمة بارزة في السياسة الإستعمارية البرتغالية[4] وامتدادا

---

(1)– ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ولاية المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس (ط2، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، دت)، ص15، 16.

(2)– **سانتا كروز:** هي مستعمرة أنشأها البرتغاليون على مقربة من أغادير مطلع القرن السادس عشر ميلادي، وتعني الصليب المقدس، حكمها حوالي إحدى عشر حاكما برتغاليا ما بين 1521 حتى 1541م، بلغ عدد حامياتها سنة 1521م ما بين 700 إلى 1000 رجل، في حين وصل عددها سنة 1530م إلى 2000 رجل. للمزيد أنظر: محمد الفاسي « سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديما وحديثا »، مجلة المناهل، 8، الرباط، (1402هـ، 1982م)، ص14،15، عطا الله الجمل، المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص65.

(3)– عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، (ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1414هـ، 1994م)، ج6 ص79–85.

(4)– محمد خير فارس، محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى– ليبية، (دط، دب: جامعة دمشق، 1421هـ، 2000م)، ج1، ص172.

لحروب الاسترداد ضد مسلمي الأندلس التي لم تكن قد انتهت بعد، وما زاد من حدتها رفع البابوية لشعار الحرب الصليبية المقدسة ضد المسلمين، واستغلال ملوك البرتغال لذلك الشعار خدمة لمشاريعهم في المغرب الأقصى[1].

2.1.5.4.الأسباب الاجتماعية:

مر المجتمع البرتغالي بثلاثة مراحل، كانت أولى مراحله السيطرة الأرستقراطية ومن ثم فترة السيطرة المؤقتة للبرجوازية في عهد يوحنا الأول وأخيرا مرحلة عودة النفوذ الأرستقراطي[2]، التي قامت بينها منازعات داخلية ونتيجة للتزايد النسبي لعدد السكان واستحالة توسعها شرقا على حساب مملكة قشتالة، مما دفع بالبرتغال إلى توجيه سياستها التوسعية خارج شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك عن طريق قيامها بحملات على المغرب الأقصى[3] وبالفعل كان الغزو للمغرب قضية نبلاء وفرسان، فقد كانت القيادة العسكرية بأيديهم وكانوا يعينون على رأس إدارة المدن المحتلة وأعطيت مدن مغربية كإقطاعات لبعضهم البعض ونظرا لما حصلوا عليه من امتيازات واصلوا مشاريعهم الإستطانية ضد المغاربة[4].

3.1.5.4. الأسباب الاقتصادية:

أما العامل الاقتصادي الذي هو الآخر من الأسباب المهمة للغزو البرتغالي للمغرب الأقصى في ظل الأزمة الاقتصادية الحادة التي عاشتها أوروبا وندرة العملة، مما نتج عنه تقلص التجارة الأوروبية والحاجة إلى أسواق جديدة[5] والبحث عن اليد العاملة بأرخص الأثمان التي كان الأوروبيون يعتبرونها سلعة مربحة تحت مسمى تجارة العبيد[6]، والحاجة

---

(1)– محمد القبلي، تاريخ المغرب، (ط1، الرياض: منشورات المعهد الملكي، 2011)، ص325.

(2)– بوشرب، دكالة، مرجع سبق ذكره، ص157.

(3) – خير فارس، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص17.

(4)– بوشرب، مرجع سبق ذكره، ص158.

(5)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص20.

(6)– **تجارة العبيد:** امتدت أربعة قرون من القرن الخامس عشر إلى التاسع عشر ميلادي، فقدت فيها إفريقيا ما يقرب من مئة مليون من أبنائها، فقد هذا العدد ما بين عمليات صيد أو الأسر أو في أثناء رحلة طويلة عبر المحيطات على ظهر=

إلى الثروة المعدنية كالذهب...إلخ، الذي يتوفر عليه المغرب والبحث عن أراضي جديدة صالحة لزراعة قصب السكر واستغلال المنتوجات المغربية كالقمح والتوابل والصوف إضافة إلى الخيول[1] ويظهر أثر هذا العامل بوضوح في مراكش التي اقترنت في أذهان البرتغاليين في تشييد اقتصاد الإمبراطورية البرتغالية[2].

4.1.5.4. الأسباب الإستراتيجية:

تجسد أساسا في أهمية المنافذ البحرية للمغرب الأقصى، وذلك لمكانتها بالنسبة للمواصلات البحرية العالمية، فالمغرب الأقصى يشرف على بحرين مهمين هما البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي هذا الأخير الذي يتحكم في مضيق جبل طارق، خاصة لقرب المسافة بين البرتغال والساحل الإفريقي ما أعطى دفعا كبيرا إلى توسيع النفوذ البرتغالي بالمغرب[3]، وقد مرّ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب بمرحلتين، المرحلة الأولى دامت من 1415م–1486م، تركز فيها الغزو بالشمال المغربي[4] مقتصرا على بعض السواحل مثل سبتة التي أعتبرت مفتاح البحر الأبيض المتوسط كله[5]، أما المرحلة الثانية استمرت من 1486م–1515م، نشط فيها الغزو بالجنوب المغربي[6] بهدف ضمان أمن شواطئهم وأراضيهم وسفنهم من أي هجوم إسلامي مع توفير الموانئ على طول طريقها إلى سواحل غرب إفريقيا أولا ثم الهند والبرازيل منذ بداية القرن السادس عشر ميلادي[7].

=سفن العبيد المتجهة من سواحل القارة الإفريقية إلى القارة الأمريكية وأوروبا. للمزيد أنظر: عايدة الغرب موسى، قرن الرعب الإفريقي، الغزو والمقاومة، (ط1، مصر: دار البشير، 1435هـ، 2014م)، ص13.

(1)– بوشرب، مرجع سبق ذكره، ص154–157.

(2)– فرغلي علي يتسن الهريدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر–الكشوف –الإستعمار–الإستقلال، (ط1، الإسكندرية: العلم والإيمان، 2008م)، ص47.

(3)– محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، (ط1، دب: إفريقيا الشرق، 1991م)، ص142.

(4)– خير فارس، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص21.

(5)– محمد القبلي، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص326.

(6)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص21.

(7)– بوشرب، دكالة، مرجع سبق ذكره، ص154.

2.5.4. نتائج الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى:

من أهم ما نتج عن الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى احتلال سبتة 1415م والسيطرة على سائر الثغور المغربية[1]، أصيلا 1471م، القصر الصغير 1458م، أغادير 1505م أسفي 1508م، أزمور 1513م مما أدى إلى فقدانها لأدوارها التجارية وتحولها إلى ثكنات شبه جامدة[2]، هذا ما نتج عنه انتشار الفوضى بسبب ضعف السلطة المركزية والحروب بين القبائل، إضافة إلى تفشي المجاعات[3] والأوبئة التي بلغت ذروتها في المغرب الأقصى مما أوقع السلطة في أزمة حادة جعلت المغاربة يشعرون بعدم الاطمئنان على أنفسهم وذويهم وممتلكاتهم[4]، الأمر الذي أدى إلى إثارة المشاعر الدينية والوطنية لدى المغاربة وظهور قيادات دينية مرابطة تحث على الجهاد ضد الغزاة بالإضافة إلى ظهور السعديين[5] الأوائل.

3.5.4. رد الفعل المغربي ضد الاحتلال البرتغالي:

في ظل تعاظم الخطر البرتغالي على المغرب الأقصى إلتفت القوى الوطنية المغربية المجاهدة، ضمن ثورة قادها علماء الصوفية، حيث تركزت جل مراكز هذه المقاومة على طول السواحل المغربية الشمالية الغربية، في الوقت الذي عجزت فيه السلطة المركزية بقيادة المرينيين والوطاسيين في الدفاع عن البلاد[6]، وقد سادت في المغرب أواخر القرن الخامس عشر طريقتين صوفيتين كانتا أكثر الطرق حماسا في ميدان الجهاد ضد الإحتلال[7] هما

---

(1)– للمزيد أنظر الملحق رقم 01 ص 100.

(2)– أحمد بوشرب، مغاربة في البرتغال خلال ق السادس عشر، (ط1، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1996م)، ص25.

(3)– أهمها مجاعة بمدينة دكالة وعبده والسوس سنة1521م، فقدت فيها القبائل الكثير من سكانها وماشيتها، مجاعة بفاس بين سنتي 1541م–1542م. للمزيد أنظر: خير فارس، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص23.

(4) – أحمد بوشرب، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، (ط1، الرباط: دار الأمان، 1997م)، ص63.

(5)– **السعديين:** أبناء عم السادات الأشراف أهل سجلماسة العلويين ينتسبون إلى الحسن ابن القاسم ابن عم جدهم في درعة وهو زيد ابن أحمد بن محمد، وهم من بني سعد بن بكر بن هوزان الذين منهم حليمة السعدية. للمزيد أنظر: محمد الوفراني نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تص: هوداس، (دط، أنجي: ددن، 1888م)، ص10.

(6)– الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص94.

(7)– عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سبق ذكره، ص46.

الطريقة القادرية[1] والطريقة الشاذلية[2] التي غلب عليها الطابع الروحي الديني، ومن أبرز قاداتها محمد ابن سليمان الجازولي الذي رفع راية الجهاد في الجنوب المغربي بمنطقة السوس مرتكزا على السند السعدي الشريف لبعث دور سياسي جديد في المغرب[3]، كما وردت في كتاب نزهة الحادي للوفراني في قوله «... كان السبب في قيام أبي عبد الله القائم أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كل جهة ... لعدم أمير يجتمعون عليه[4] ... » الذي يعود الفضل إليه في ظهور الدولة السعدية لقائدها القائم بأمر الله[5] وابنيه أحمد الأعرج[6] ومحمد الشيخ السعدي[7] التي برزت فيما بعد كقوة جديدة على أنقاض الوطاسيين، ونتيجة لضعف العالم الإسلامي تهافتت عليه الأطماع الأوروبية وفي طليعتها الإسبان والبرتغال في ظل الظروف التي سادت في أوروبا وانشغال الدول الأخرى بأوضاعها

---

(1)– **الطريقة القادرية:** تأسست في القرن 6هـ–12م على يد عبد القادر الجيلاني من أوسع الطرق الصوفية إنتشارا. للمزيد أنظر: الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص94.

(2)– **الطريقة الشاذلية:** ظهرت في القرن السادس عشر ميلادي، تنسب إلى شيخها محمد ابن سليمان الجازولي، غلب عليها الطابع الروحي، من أبرز رجالها الشيخ القطب الصوفي، أبو مدين الغوث، عبد السلام ابن مشمش، كان لها دور جهادي ضد الإحتلال الإيبيري خلال القرن الخامس عشر ميلادي. للمزيد أنظر: الغنيمي، المرجع نفسه، ص95.

(3)– الغنيمي، المرجع نفسه، ص101.

(4)– محمد الوفراني، النزهة، مصدر سبق ذكره، ص10.

(5)– **القائم بأمر الله:** ظهر في درعة، نشأ على عفاف وصلاح، كان من أهل العلم والدين، كان له إطلاع على عوائد جيله أخلاقهم، طبائعهم، ولما وصل إليه المغرب من انحطاط وضعف، عينه فقهاء الصامدة وشيوخ القبائل على قيادة الجهاد فبايعه الناس في قرية تيدسي قرب تارودانت. للمزيد أنظر: أبو العباس الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تح: جعفر الناصري، محمد الناصر، (دط، دار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ، 1997م)، ج5، ص8، 9.

(6)– **أحمد الأعرج:** هو أبو العباس أحمد بن القائم بأمر الله الملقب بالأعرج، بويع ملكا على السوس سنة 1510م، قاد حركة الجهاد ضد البرتغال في سواحل السوس وأحرز السعديون تحت قيادته انتصارات عسكرية، اتخذ مراكش عاصمة للدولة السعدية الناشئة بعد استلائه عليها سنة 1525م، قامت بينه وبين أخيه محمد الشيخ حروب دامت عدة سنوات انتهت بانهزام أحمد الأعرج وسجنه، أغتيل سنة 1557م. للمزيد أنظر: أبي فارس عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، (دط، الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دت)، ص74.

(7)– **محمد الشيخ السعدي:** ولد سنة 1488م، عرف بالشيخ أو بأمغار، لقب بالمهدي، تلقى تعليمه بالسوس ومدينة فاس حفظ القرآن وكان ينقض بنفسه بعض فتاوى بعض العلماء مما يدل على إطلاعه الكبير، أسس الدولة السعدية في المغرب واتخذ مراكش عاصمة لدولته، قضي نهائيا على الحكم الوطاسي في المغرب باستلائه على مدينة فاس سنة 1554م، توفي بعد إغتياله من قبل الأتراك سنة 1557م. للمزيد أنظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ،(ط1،الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1398هـ، 1978م)، مج2، ص278.

الداخلية، مما فتح باب التنافس بين الإمبراطوريتين الإسبانية والبرتغالية لبسط سيطرتها على العالم الإسلامي عامة والشق الغربي منه خاصة، هذا الأخير الذي كابد ويلات الاحتلال الإيبيري بعد ضعف سلطته وتشتت أمره.

المبحث الثاني: أوضاع المغرب السياسية أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م

كان الواقع السياسي في المغرب منقسما إلى عدة جبهات حاكمة، الوصاية الوطاسية بمدينة فاس والهنتانيون[1] بمدينة مراكش، وكان جميع سكان هذه المدن أحرارا رافضين أن يكون بعضهم تابعا لبعض، فانحطت بذلك قوة بني مرين الحاكمين في فاس، وأخذ الأعراب يتصرفون في الحكم كيف ما شاءوا ويقاتل بعضهم بعضا، مما جعل المغرب مفتوحا على صراعات داخلية.

1.الصراع المريني الوطاسي:

بعد احتلال البرتغال لمدينة سبتة سنة 1415م وعجز السلطان أبي سعيد المريني[2] في الدفاع عنها فقامت ثورة ضده أودت بحياته سنة 1420م[3]، وبقيت بذلك مملكة فاس ثمانية سنوات بدون سلطان إلى أن عثر على ابن صغير لأبي سعيد هو عبد الحق المريني[4] حيث اجتمع أشياخ بني مرين وقدموه على أنفسهم[5]، وأصبح سلطانا على

---

(1)– **الهنتانيون:** هم فرع من قبيلة مصمودة، وقوم أثرياء محبون للحرب، يدّعون أنهم أشرف سكان إفريقيا، لهم عدد كبير من الفرسان وحصن حصين بناه أكابر القبيلة، اتخذوها مركزا لهم لمحاربة الشرفاء قبل استلائهم على مدينة مراكش. للمزيد أنظر: لمارمور كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، (دط، الرباط: دار نشر المعرفة، 1409هـ، 1989م)، ج2 ص67.

(2)– **أبي سعيد المريني:** كان ملكا على مدينة فاس، في عهده احتلت مدينة سبتة من طرف البرتغاليين، ولم يسترجعها بل أتاه الخبر وهو في وليمة والناس يرقصون فلم يوقف الإحتفال، قتل بعد ذلك شر قتلة من قبل أحد كتابه السابقين، وهلك معه سبعة من أبنائه لأنه راود زوجة كاتبه عن نفسها وذلك سنة 1421م. للمزيد أنظر: الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص318.

(3)–كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص28.

(4)– **عبد الحق المريني:** هو أبو محمد ابن أبي سعيد عثمان بن عبد الحق الزناتي المريني، أمه علجة إصبنيولية، آخر ملوك بني مرين وأطولهم مدة، وأعظمهم محنة وشدة، في أيامه ضعف أمر بني مرين وكان التصرف للوزراء والحجاب. للمزيد أنظر: الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص95.

(5)– الفاسي، الذخيرة السنية، مصدر سبق ذكره، ص30.

المغرب وهو لم يبلغ سن الرشد بعد، فاستغل أبا زكريا يحي الوطاسي الفرصة وثبته في الحكم، وبذلك بدأ النفوذ الوطاسي يشكل مظهر الوصاية على العرش من سنة 1420م حتى سنة 1458م[1]، ولما بلغ عبد الحق المريني سن الرشد أخذ يدبر في الخفاء للتخلص من كل ما هو وطاسي بسبب تلك التصرفات التي كان يقوم بها يحي بن يحي الوطاسي[2] فقرر القضاء عليهم والتنكيل بهم ونجح في التخلص منهم[3]، فلم ينجوا منهم إلا إثنان هما محمد الشيخ ومحمد الحلو[4].

إنّ ما قام به السلطان عبد الحق ضد بني وطاس لم يلقى قبولا لدى الشعب المغربي عامته وخاصته، مما أفقده مكانته في الحكم[5]، في مقابل ذلك استولى الوطاسيين على عدد من المدن المغربية مما أدى إلى قيام ثورة ضد عبد الحق المريني انتهت بانقلاب الجند عليه[6] وقتل سنة 1464م، وبموته تنتهي دولة بني مرين في المغرب الأقصى التي دام حكمها لمدة قرنين من الزمن[7].

2.بداية الحكم الوطاسي المباشر 1472م-1554م:

بعد مقتل آخر سلاطين بني مرين-عبد الحق- شهد المغرب فراغ سياسي كان له تأثير على الأحداث الجارية في البلاد، مما استدعى وجود سلطة جديدة، هذا ما استغله الوطاسيون لبسط نفوذهم على مدينة فاس، ومن هنا تبدأ مرحلة الحكم الوطاسي المباشر في المغرب الأقصى.

---

(1)- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص73، 74.

(2)- **يحي الوطاسي:**خلف الوزير علي بن يوسف الوطاسي سنة 1459م، حفظ صدر السلطان عبد الحق المريني، أقصى عددا من الولاة والضباط وعين مكانهم آخرين، لم يدم طويلا في الوزارة سوى شهرين، أعدم هو وأسرته على يد عبد الحق المريني. للمزيد أنظر: حركات، المرجع نفسه، ص63.

(3)- الغنيمي، الموسوعة، مرجع سبق ذكره، ص16.

(4)- الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص119.

(5)- الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص18.

(6)- حركات، مرجع سبق ذكره، ص63.

(7)- روجييه لوتورنو، فاس في عهد بني مرين، تر: نيقولا زيادة، (دط، بيروت: مؤسسة فرانكلين، 1967م)، ص209.

1.2. المغرب الأقصى في عهد محمد الشيخ الوطاسي:

بويع أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي سنة 875هـ الموافق لـ 1470م بموافقة أهل الشورى والحل[1] تحت شعار الدفاع عن الوطن[2]، وفي عهده شهد المغرب حالة من الاضطراب حتى طمع في ملكه كل من كانت توسوس له نفسه بذلك[3] وهنا أصبح محمد الشيخ الوطاسي يواجه خطرين هما الأدارسة[4] الذين كانوا في مدينة فاس وعلى رأسهم محمد بن علي الإدريسي، الذي قام بثورة ضد السلطان عبد الحق المريني بسبب قتله الإمام محمد بن سليمان الجازولي[5] صاحب الطريقة الجزولية التي كان السلطان عبد الحق يدرك مدى خطورتها على سلطته، حيث بويع المولى محمد بن علي زعيما للأدارسة بمدينة فاس وذلك سنة 1464م لكن الأمر لم يستقر لهم بسبب عجزهم عن مواجهة الخطر البرتغالي[6] فسعى محمد الشيخ الوطاسي إلى نزع السلطة من يد محمد الإدريسي بعد حروب طاحنة بينهما، ونجح في احتلال مدينة فاس سنة 1472م، إلاّ أن انشغاله بمحاربة الأدارسة في

---

(1)– محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، إع: إدريس بوهليلة، (ط1، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005م)، ج1، ص252.

(2)–كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص29.

(3)– الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص120.

(4)– **الأدارسة:** ينسبون إلى إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية، بويع من طرف قبيلة أوربة، ثم القبائل المغربية الأخرى مثل قبيلة زناتة وقبيلة مكناس، اتخذ مدينة فاس عاصمة لدولته، اعتمد على قبائل البربر في توسيع الدولة وبنائها سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا، اتخذ من الجهاد الديني مبدأ لتوسعاته. للمزيد أنظر: محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى 172هـ–375هـ، (ط1، بيروت: مكتبة الفلاح، 1409هـ، 1989م)، ص59–66.

(5)– **سليمان الجازولي:** ينتمي إلى جزولة إحدى القبائل السملالية البربرية في إقليم السوس، شيخ الطريقة الشاذلية في المغرب، كان فقيها له كتابات عديدة في التصوف منها كتاب دلائل الخيرات الذي كتبه بمدينة فاس، وجمع فيه تعاليم طريقته، كان له دور جهادي في الجنوب المغربي ضد الغزو البرتغالي، توفي سنة 1465م بمدينة أقفال وقيل مات مسموما في نفس السنة على يد بعض الفقهاء، وهو في طريق عودته من مدينة فاس إلى قرية تيست، خلفه في دعوته عمر وابن سليمان المغيطي. للمزيد أنظر: الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص96–98، أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (ط1، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1398هـ، 1989م)، ج1،ج2، ص545، 546.

(6)–كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص28، 29.

فاس كلفه ضياع مدينة أصيلا التي إحتلها البرتغاليون سنة 1471م بجيش قوامه 477 سفينة محملة بـ ثلاثين ألف مقاتل وكان ذلك في عهد الملك البرتغالي ألفونسو الخامس، الذي استغل النزاع القائم بين الوطاسيين والأدارسة في مدينة فاس[1] ودخلها عنوة بعدما أزهقت فيها أرواح كثيرة وخربت عن آخرها[2]، وظفر فيها ببيت مال الوطاسي–محمد الشيخ– وأسر إبنه محمد أبو عبد الله البرتغالي وإبنته وزوجته إلى جانب جماعة من الأعيان، وبقي الإبن أسيرا لدى البرتغال لمدة سبع سنين، مما جعل عهد محمد الشيخ مفتوحا على عدة جبهات[3].

1.1.2. الهدنة البرتغالية الوطاسية:

بعد سقوط مدينة أصيلا في يد البرتغاليين سنة 876هـ الموافق لـ 1471م، اضطرّ محمد الشيخ الوطاسي إلى الدخول في مفاوضات مع ملك البرتغال ألفونسو الخامس، التي أسفرت عن عقد هدنة بين الطرفين، ليتفرغ محمد الشيخ الوطاسي بعدها إلى محاربة خصومه من الأدارسة بمدينة فاس[4]، وكان أهم ما نصت عليه هذه الهدنة هو أن تمتد لعشر سنوات حيث سمحت للبرتغاليين باحتلال مدينة العرائش إلى جانب مدينة أصيلا، كما نصّت على إطلاق سراح ابن محمد الشيخ الوطاسي وزوجاته[5]، وترتب عن هذه الهدنة تنازل الوطاسيين عن أراضي من بلاد المغرب، واحتل البرتغاليون مدينة العرائش إلى جانب مدينة أصيلا[6]، ونتيجة لذلك تفككت الوحدة السياسية للمغرب، فقامت حركات انفصالية

---

(1)– علي محمد محمد الصلاّبي، صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين، (دط، د ب: دار البيارق، دت) ص321.

(2)– محمد القبلي، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص366.

(3)– الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص116.

(4)– الصلاّبي، مرجع سبق ذكره، ص321.

(5)– الغنيمي، الموسوعة، مرجع سبق ذكره، ص23.

(6)– الصلاّبي، مرجع سبق ذكره، ص321.

كبني راشد[1] الذين رفضوا الهدنة وضايقوا الجيش البرتغالي في مدينة أصيلا، حيث تمكنوا من تحطيم عدد من سفنهم، ولم يكن بنوا راشد وحدهم ممن انفصلوا عن الحكومة المركزية بل ظل بنوهنتانة منذ عهد الموحدين مستقلين إستقلالا ذاتيا بمدينة مراكش، واستمر أمرهم كذلك في عهد بني وطاس، مما دفع محمد الشيخ الوطاسي إلى كسب ودّهم بعد محاولات فاشلة لإخضاعهم[2]، ولم يكتفي محمد الشيخ بمهادنة البرتغاليين فحسب، بل تعهد لملوك إسبانيا بعدم تقديم أيّة مساعدة لمسلمي غرناطة وذلك سنة 1485م[3].

2.1.2. موقف مسلمي الأندلس من السياسة الوطاسية:

بعد سقوط آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس سنة 1492م، انتقلت جاليات أندلسية إلى المغرب في وقت كان يمر بأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية تجسدت في ضعف السلطة المركزية الممثلة في الحكم الوطاسي بسبب النزاع القائم بين الإمارات المستقلة، والغزو البرتغالي للسواحل المغربية، إضافة إلى انتشار المجاعة والأوبئة والقحط في البلاد، ومن الأمثلة على ذلك الوباء الذي ظهر في منطقة السوس في الفترة ما بين 1511م–1512م، وعجز السلطة المغربية عن مواجهة هذه الأزمات في ظل العجز المالي والإداري الذي كانت تعاني منه أنذاك[4]، وهذا ما يشير إليه صاحب نبذة العصر لمؤلف مجهول في قوله «... أصاب النّاس شدة عظيمة وغلاء مفرط وجوع وطاعون، واشتّد الأمر بمدينة فاس حتى فرّ كثير من النّاس من شدة الأمر، ورجع البعض الآخر من الذين جازوا الأندلس فأخبروا بتلك الشدّة فقصر الناس عن الجواز، عند ذلك عزموا على الإقامة...»[5] وفي خضم هذه الأوضاع المتدهورة التي كان يشهدها المغرب إبّان حكم بني وطاس اضطر

---

(1)– **بني راشد:** هم على فرقتين، أهل الجبال ويسكنون القرى، يشتغلون بزراعة الحقول والكروم، أما غيرهم فيجوبون الآفاق وهم أعظم غنى وشهرة، وأكثر خيلا وجمالا. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص324.

(2)– حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص170.

(3)– خير فارس، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص27.

(4)– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، مرجع سبق ذكره، ص141–147.

(5)– مؤلف مجهول، نبذة العصر، مصدر سبق ذكره، ص44.

المهاجرين الأندلسيين إلى الإختيار بين أمرين، إما البقاء والتأقلم مع تلك البيئة في المغرب أو العودة إلى بلاد الأندلس، ومن هنا انقسم هؤلاء الأندلسيين إلى ثلاثة فئات[1] الفئة الأولى فضلت العودة إلى بلاد الأندلس نظرا لما لقيته من أوضاع مزرية في المغرب وصعوبة تكيفها مع تلك البيئة، فسعت إلى التحالف مع الإسبان على حساب المغرب مستغلة بذلك أحد بنود معاهدة التسليم الذي نصّ على السماح للأندلسيين بالرجوع إلى إسبانيا في ظرف ثلاث سنوات، إلاّ أن مساعيها باءت بالفشل[2]، أمّا بالنسبة للفئة الثانية التي قررت البقاء في المغرب فقد وقفت إلى جانب الوطاسيين في محاربة السعديين من جهة والنصارى من جهة أخرى، حيث استقرت هذه المجموعة في مناطق عديدة من المغرب وسايرت الأوضاع السياسية من غزو إيبيري والصراع القائم بين السعديين والوطاسيين ويتجلى ذلك من خلال اعتماد محمد الشيخ الوطاسي على القادة الأندلسيين لإسترجاع مدينة مليلة من قبضة الإسبان، فنجده يقوم بإرسال علي العطار الأندلسي[3] لأداء هذه المهمة التي نجح فيها متزعما حركة الجهاد ضد العدو البرتغالي، في حين اختلف موقف الفئة الثالثة من الجالية الأندلسية والتي أصرّت على المكوّث في بلاد المغرب والعيش في إستقلالية عن السلطة المركزية مع إدارة شؤونها بنفسها، وهي التي أصبحت تشكل معارضة داخلية فيما بعد[4]. بعدما إضطربت أوضاع المسلمين في بلاد الأندلس بسقوط غرناطة سنة 1492م وجدوا أنفسهم في حيرة من أمرهم ما بين البقاء في إسبانيا والخضوع لسياستها من ذل واضطهاد وتنصير، أو الهجرة بدينهم وأهليهم من دار الكفر إلى دار الإسلام، هذا ما جعل مورسكي

---

(1)– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، مرجع سبق ذكره، ص141.

(2)– إيمان لعراب، مهدية دحموني، الهجرة الأندلسية وتأثيرها على المغرب الأقصى من القرن 16م إلى القرن 19م (مذكرة لنيل شهادة الماستر)، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2016–2017، ص35.

(3)– **علي العطار الأندلسي:** هو علي ابن إبراهيم العطار، ابن قائد مدينة لوشة من قواد بني الأحمر، أشتهر بأعماله الحربية دفاعا عن غرناطة ولوشينة، نزل بغساسة برفقة بني الأحمر، ثم انتقل إلى مدينة فاس، إسترجع مدينة مليلة من الإسبان واتخذ مدينة تزوطا مقرا له في الجهاد ضد أعداء الإسلام. للمزيد أنظر: محمد رزوق، مرجع سبق ذكره، ص158.

(4)– محمد رزوق، المرجع نفسه، ص141–159.

الأندلس يعرضون قضيتهم على العلماء والفقهاء ملتمسين منهم العذر الشرعي ونتيجة لذلك صدرت العديد من الفتاوى[1] في هذا الشأن.

3.1.2. نقض الهدنة والإحتلال البرتغالي للسواحل المغربية:

رغم توقيع هدنه بين الوطاسيين والبرتغاليين إلا أنّ ذلك لم يحد من توسع النشاط البرتغالي في المغرب الأقصى[2]، فاستولوا على مدينة آنفا[3] سنة 1468م وكثفوا الحصار على مدينة طنجة التي شهدت عدة محاولات لإحتلالها وفي سنة 1437م، جهز البرتغاليون حملة من مدينة لشبونة بقيادة الملك فرديناند، إلاّ أنها منيت بالفشل، وبحلول سنة 1458م أعاد الملك ألفونسو الخامس الكرة عليها، غير أنّه لم يتمكن من مهاجمتها فتوجه إلى القصر الصغير واستولى عليه سنة 1471م، وهي نفس السنة التي استولى فيها على مدينة أصيلا[4].

1.3.1.2. إحتلال ساحل البريجة وأغادير:

في 22 جمادى الثانية سنة 907هـ الموافق لـ 2 ديسمبر 1502م خرج أسطول برتغالي بقيادة مانويل متألفا من خمسمائة سفينة تحمل حوالي 18 ألف جندي[5] للإغارة على مدينة

---

(1)– لقد تعددت الفتاوى حول مسألة الهجرة الأندلسية، ولعلّ أشهرها فتاوى الفقيه أحمد الونشريسي الذي أصدرها سنة 1495م، أي بعد سقوط غرناطة، وقد أكدّ من خلالها على ضرورة الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، بل وألزم بها الأندلسيين، لكن هذه الفتوى تعرضّت للنقد من طرف العديد ممن عارضوا الونشريسي أمثال حسين مؤنس، والوهراني. للمزيد أنظر: محمد رزوق،مرجع سبق ذكره، ص148–151.

(2)– الغنيمي، الموسوعة، مرجع سبق ذكره، ص25.

(3)– **مدينة آنفا:** أسسها الرومان في شاطئ المحيط الأطلسي على بعد 60 ميلا شمال الأطلسي، و60 ميلا شرق آزمور جهز لها البرتغاليون أسطولا من خمسين سفينة محملة بالجنود والمدفعية، فنهبوها في اليوم الأول من دخولهم إليها وخربوها وأحرقوا المنازل، وهدّموا الأسوار، وفرّ كل من كان فيها إلى الرباط وسلا تاركينها خالية. للمزيد أنظر: الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص197.

(4)– حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص74، 75.

(5)– عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم عهد بني مرين والوطاسيين (دط،المحمدية، د د ن، 1408هـ، 1988م)، مج7، ص284.

تاركة[1]، فألجأتهم عاصفة إلى ساحل البريجة فنزلوا بها وحصنوها، وتركوا فيها اثنا عشر رجل مزودين بالعدة والمؤونة، ثم عادوا إلى لشبونة، وفي سنة 1508م إهتم بها الملك مانويل وبنى بها حصنا[2]، في حين أن احتلال البرتغاليين لأغادير سنة 1504م كان نتيجة لإستلائهم على سواحل السوس وبنائهم حصن فونتي[3] قرب أغادير نظرا لموقعها الهام ونشاطها التجاري مع أهل السوس، وبذلك تمت السيطرة البرتغالية على معظم الثغور المغربية الساحلية في عهد محمد الشيخ الوطاسي الذي شهد عهده العديد من الإضطرابات التي كانت سببا في إحداث تقارب بين الوطاسيين والبرتغاليين، ومن ثم تخليه عن الجهاد حتى وفاته سنة1504م[4].

2.2. المغرب الأقصى في عهد محمد البرتغالي:

هو أبو عبد الله محمد ابن محمد الشيخ الوطاسي الملقب بالبرتغالي كونه أقام رهينة لدى البرتغال مدة سبعة سنوات[5]، تولى الحكم بعد وفاة والده محمد الشيخ وذلك سنة 910هـ الموافق لـ 1504م، لم يلبث في الحكم سوى خمس سنوات، تميز عهده بظهور الأشراف السعديين بناحية السوس، إنتهج سياسة مغايرة عن أبيه، هاجم بعض مراكز الإحتلال البرتغالي شعورا منه بما حصل في الأواسط الداخلية من تذمر بتقاعس الوطاسيين عن محاربة الأعداء، سعى لدى ملوك الإسلام المعاصرين بمالي في غرب إفريقيا وآل عثمان في الشرق بهدف تشكيل تحالف إسلامي ضد المسيحيين وخاصة منهم البرتغال و الإسبان وذلك

---

(1)– **مدينة تاركة:** تبعد عن أزمور بعشرة أميال، تقع على ضفاف نهر أم الربيع، أسسها الأفارقة القدامى الذين أحاطوها بأسوار وأبراج، وبعد غزو البرتغال مدينة أسفي رحل عنها قسم من القبائل، وبقيت المدينة خالية. للمزيد أنظر: كربخال إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص102.

(2)– محمد بن محمد العبدي الكانوني، أسفي وما إليه قديما وحديثا، (دط، دب، د د ن، دت)، ص46، 47.

(3)– **حصن فونتي:** هو حصن يقع على مقربة من أغادير، أسسه البرتغاليون لما احتلوا هذا الشاطئ وحصنوه ببرج، وبنوا به الدور، ومنه كانت تروج تجارتهم مع أهل السوس. للمزيد أنظر: الكانوني، المرجع نفسه، ص76.

(4)– الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص139.

(5)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص172.

من خلال الرحلات التي قام بها محمد الحسن الوزان[1] إلى السودان الغربي ومصر في مطلع القرن 16م، إلاّ أنّها باءت بالفشل، توفي محمد البرتغالي سنة 1525م[2].

1.2.2. التوسع البرتغالي في عهده:

تواصل الاحتلال البرتغالي لباقي الثغور المغربية في عهد محمد البرتغالي، رغم أنه رفع راية الجهاد ضد البرتغاليين التي اتخذها أساس حكمه لإسترجاع المدن المغربية المحتلة.

1.1.2.2. إحتلال أسفي والصويرة:

استغل البرتغاليون إنقسام سكان أسفي إلى طوائف، وتمكن التجار البرتغاليون من كسب لأحد رؤساء هذه الطوائف يحي بن تعففت[3] الذي أصبح حليفا لهم فيما بعد، ثم أعلن تبعيته للملك مانويل مقابل توليته حاكما على مدينة أسفي[4]، فجهز الملك البرتغالي أسطولا مكونا من خمسة آلاف من الجنود والمشاة ومئتان من الفرسان، حيث وصل جزء منه إلى أسفي يوم 24 ديسمبر سنة 1507م، ثم تبعته سفن أخرى، في أول شعبان سنة 913هـ الموافق لـ 1 جانفي 1508[5]، وأسر عدد من المغاربة، كما تعرضت المدينة لغارات واضطر أهلها إلى أداء الخراج للملك البرتغالي مانويل، وبذلك تمكن البرتغاليون من إحكام سيطرتهم على مدينة أسفي، ثم زحفوا إلى مدينة دكالة[6]،ومنها إلى الصويرة التي استولوا عليها سنة 1506م[7].

---

(1)– **محمد الحسن الوزان:** يلقبه المؤرخون بليون الإفريقي، من مواليد سنة 888هـ الموافق لـ 1483م، هو أبو علي غرناطي الأصل، فاسي الدار، من أسرة يوحنا الأسد، عالم جغرافي ومؤرخ أندلسي، هاجر مع والده إلى مدينة فاس، انتدب لبعض السفارات والوساطات السياسية، قام برحلة إلى بلدان إفريقيا والشرق الأوسط. للمزيد أنظر: خير الدين الزركلي الأعلام، قاموس التراجم، (ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، ج2، ص217.

(2)– كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص30، 31.

(3)– الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص149.

(4)– ديكودي طوريس، تاريخ الشرفاء، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، (دط، الدار البيضاء: الجمعية المغربية، دت) ص16.

(5)– الوزان، مصدر سبق ذكره، ص150.

(6)– توجه إليها الملك البرتغالي مانويل بجيش يحتوي على أربعمائة وخمسين فارس، وخمسمائة من الرماة، فحاصرها من كل جوانبها، وقتل حوالي ثلاثمائة شخص وأسر حوالي خمسمائة وسبع وستون من المغاربة، وغنم خمسة آلاف من المشاة وألف من الثيران إضافة إلى ثلاثمائة بعير، ثم عاد إلى أسفي. للمزيد أنظر: طوريس، مصدر سبق ذكره، ص17.

(7)– محمد الفاسي، « احتلال البرتغاليين للثغور المغربية، الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن»، دعوة الحق، 8، الرباط (1398هـ، 1978م)، ص22.

2.1.2.2.احتلال أزمور والمعمورة:

تعددت محاولات البرتغال لاحتلال أزمور، ففي 12 أوت سنة 1508م كانت الحملة الأولى التي بلغ عدد أسطولها حوالي خمسة وسبعون سفينة إحتوت على ألفي رجل، لكنهم إنهزموا بسبب قلة خبرة القائد وغرقت معظم سفنهم[1]، وبعد أربع سنوات أرسل إليها الملك مانويل أسطولا مكونا من عشرين ألف سفينة وألفين وسبعمائة فارس متجها إليها من الجديدة برا، فاستولى عليها سنة 1513م وبذلك دخل الطرفين في قتال شديدة انتهى بخروج المسلمين من أزمور[2] مما أدى إلى إستياء محمد البرتغالي وقيامه بحملة لإسترجاعها. بعدما أصبح مرسى أزمور في يد البرتغاليين قرّروا توسيع نفوذهم نحو الشمال فجهّزوا جيشا مكونا من ثمانية آلاف مقاتل[3] وألف ومائتي مركب إلى جانب البحارة والصناع لتشييد قلعة قرب مصب نهر سبو[4] مستغلين فرصة قيام حاكم فاس بحملة ضد القبائل الخارجة عنه في مدينة دكالة[5]، وفي 24 جوان 1515م وصل الأسطول البرتغالي إلى مدينة المعمورة وأقاموا بها حصنا، ولما بلغ الخبر إلى محمد البرتغالي بعث أخاه مولاي الناصر إليها وبرفقة ثلاثة آلاف فارس وثلاثين ألف رجل، ثم لحق به مع عدد من الفرسان والمشاة واشتبك جيش محمد البرتغالي مع القوات البرتغالية ودخل الطرفان في معركة دامت ثلاثة أيام كللت بانهزام الأسطول البرتغالي وغرق سفنه فاضطر إلى الإنسحاب بعدما فقد عشرة آلاف من الجند وهلك أكثر من أربع آلاف وأسر الباقون[6]، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع البرتغاليين من إعادة الكرة على مدينة المعمورة التي استولوا عليها سنة 1514م وحصنوها وبقيت تحت سيطرتهم لمدة خمس سنوات[7].

---

(1)– الوزان، مصدر سبق ذكره، ص158.

(2)– الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص142.

(3)– الفاسي، « احتلال البرتغاليين للثغور المغربية»، مقال سبق ذكره، ص23.

(4)– كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص137.

(5)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص43.

(6)– كربخال، مصدر سبق ذكره، ص139.

(7)– الناصري، مصدر سبق ذكره، ص144.

2.2.2. محاولة إسترجاع بعض المدن المحتلة:

بعدما أصبحت جل الثغور المغربية بحوزة البرتغال[1] سعى محمد البرتغالي إلى استرجاع البعض منها إنتقاما للبرتغاليين بسبب السنوات السبع التي أمضاها أسيرا لديهم فكانت أولى محاولاته على مدينة أصيلا سنة 1508م[2]، إلاّ أنّ الدعم البرتغالي للمدينة حال دون إستلائه عليها، كما أنه لم يوفق في استرداد مدينة طنجة بعد سبع سنوات من هذا التاريخ، وفي سنة 1515م حاول استئناف الهجوم على أصيلا لكنه أخفق في ذلك وقام بمنع البرتغاليين من السيطرة على الجنوب المغربي، إلاّ أن مساعيه باءت بالفشل[3]، فدخل المغرب في حروب وفتن، وتجلى ذلك في انحطاط الحياة المدينية حيث فقدت الكثير من المدن المغربية إزدهارها كمدينة مراكش وأزمور وأسفي...إلخ بالإضافة إلى تعطل التجارة الداخلية بسبب انعدام الأمن، كما أدى هذا الغزو إلى شل التجارة الخارجية للمغرب، وفي خضم هذا الوضع المتردي ظهر رد فعل وطني بالجنوب المغربي نتيجة لعجز الأسرة الوطاسية في التصدي للغزو البرتغالي[4]، تمثّل في الأشراف السعديون بناحية السوس كقوة ناشئة رافعين راية الجهاد ضد النصارى الذي تزعمه الأخوين الشريفين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ السعدي بهدف تحرير بعض سواحل السوس من الإحتلال البرتغالي معتمدين على فرقة الفرسان التي كانت بعض القبائل منضوية تحت لوائهم قوامها خمسمائة رجل وتزايد عددها مع مرور الزمن لكثرة الراغبين في الجهاد ضد العدو[5].

1.2.2.2. التحالف السعدي الوطاسي في مواجهة البرتغاليين:

يعود التحالف السعدي الوطاسي أيام ظهور الدعوة السعدية وإمامها القائم بأمر الله الذي لقي الدعم من الوطاسيين من خلال مدّه بالمعدات والمؤن من طرف أهل مدينة فاس

---

(1)– للمزيد أنظر الملحق رقم 02 ص101.

(2)– الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص142.

(3)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص173.

(4)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص31، 32.

(5)– كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص45.

ومساعدته في جهاده ضد البرتغاليين[1]، إذ تميزت العلاقات بين السعديين والوطاسيين في بادئ أمرها بالوّد والتحالف ضد الغزو البرتغالي، ويظهر ذلك من خلال محاولة الملك البرتغالي التقرب من حاكم مدينة مراكش مولاي النّاصر بهدف استمالته، وفي شهر أوت سنة 1514م أرسل إلى مدينة مراكش سفارة على رأسها Forno Dirs ليعرض عليه عقد معاهدة على أساس التبعية والدخول تحت حماية التاج البرتغالي، ولمّا رفض حاكم مراكش ذلك صدرت أوامر من لشبونة إلى القوات البرتغالية المرابطة في ميناء أسفي وأزمور على أن تتهيأ لإحتلال مدينة مراكش، وبحلول شهر أكتوبر 1514م خرجت الحملة البرتغالية باتجاه المدينة التي فرض عليها حصارا شديدا في جانفي 1515م، لكن المساعدات التي وصلت إليها من قبل محمد البرتغالي–حاكم مدينة فاس–[2]، حالت دون إستلاء القوات البرتغالية عليها، فاضطر محمد البرتغالي إلى التحالف مع السعديين للجهاد ضد البرتغاليين بالشمال المغربي[3]، ونتيجة لذلك اتجه أحمد الأعرج ومحمد الشيخ السعدي إلى مدينتي أصيلا وطنجة تحت لواء مدينة فاس معلنين الجهاد ضد النصارى لإسترجاع المدينتين، فنصبوا الكمائن وأسروا البعض منهم وقتل البعض الآخر، لكن احتماء البرتغاليين بالحصون أدى إلى انسحاب الأخوين وعودتهما إلى مدينة فاس محملين بالأسرى والغنائم[4].

---

[1]– الغنيمي، الموسوعة، مرجع سبق ذكره، ص13.

[2]– كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص43.

[3]– خير فارس، تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص128.

[4]– طوريس، تاريخ الشرفاء، مصدر سبق ذكره، ص26.

كخلاصة لفصلنا يمكننا القول أن الإمبراطورية البرتغالية أصبحت من أقوى الدول الأوروبية أواخر القرن 15م، ويتجلى ذلك من خلال حكامها الذين وجهوا أنظارهم خارج شبه الجزيرة الإيبيرية بهدف اكتشاف مناطق جديدة واتخاذها كقواعد وموانئ ساحلية تابعة للنفوذ البرتغالي، فكانت مدينة سبتة أول الثغور المغربية التي احتلها البرتغاليون سنة 1415م في الوقت الذي شهدت فيه إسبانيا توحيد مملكتها النصرانية وذلك بزواج الملكين الكاثولكيين فرناندو وإيزابيلا، ما نتج عنه سقوط مملكة غرناطة سنة 1492م، وخروج المسلمين من بلاد الأندلس في ظل الإضطهاد والتنكيل الممارس عليهم من قبل محاكم التفتيش التي سعت من خلالها كل من إسبانيا والبرتغال إلى القضاء نهائيا على المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية.

تزامنت هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب في وقت كان يمرّ فيه بظروف جدّ صعبة إبّان الحكم الوطاسي له، مما أدى إلى انقسام هؤلاء المهاجرين الأندلسيين إلى عدّة مجموعات، البعض منها فضلّت البقاء في المغرب وسعت إلى مسايرة تلك الأوضاع المتدهورة التي كان يشهدها المغرب أنذاك من أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية في حين قررّ البعض الآخر العودة إلى إسبانيا والتحالف معها ضد السلطة الحاكمة في المغرب.

إنّ التنافس القائم بين الإمبراطوريتين البرتغالية والإسبانية حول مناطق النفوذ وبالأخص في المغرب، ومحاولة كل واحدة منهما في توسيع نفوذها وبسط سيطرتها على حساب الأخرى، استوجب تقسيم هذه الأراضي فيما بينهما، فكان للبرتغال المغرب الأقصى بينما استولت إسبانيا على كل من الجزائر وتونس وطرابلس، وذلك بموجب عقد إتفاقية بينهما سنة 1494م، مما أكسب الدولتان قوة في التوسع والسيطرة أكثر، ونتيجة لذلك تمكنت مملكة البرتغال من فرض سيطرتها على السواحل الجنوبية الغربية لإفريقيا في إطار حركة الكشوف الجغرافية.

كانت مملكة البرتغال في حاجة ماسة لإيجاد مناطق نفوذ جديدة تمكنها من الاستفادة من المواد الأولية هذا ما جعلها تصوب أنظارها باتجاه المغرب الأقصى، حيث ساهمت عدة عوامل في ذلك منها العامل الاقتصادي و الاجتماعي والإستراتيجي والديني، مما سهل مهمة

السيطرة على سائر الثغور المغربية، في مقابل ذلك شهد هذا التوسع الأجنبي ردّ فعل مغربي تمثّل في الجهاد الديني ضد الغزو البرتغالي، فظهرت العديد من القيادات وزعماء الصوفية الذين رفعوا راية الجهاد وسعوا إلى الدفاع عن بلادهم في ظل ضعف السلطة الوطاسية الحاكمة في مدينة فاس، وتقاعس بعض حكامها في التصدي لهذا الغزو بل سعوا إلى التحالف مع البرتغاليين ومهادنتهم قصد التفرغ لأمور الحكم. فما هي التدابير التي اتخذها الحكام الوطاسيين إزاء السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى خلال الربع الأول من القرن 16م في ظل ظهور الدولة السعدية الناشئة في المغرب؟

الفصل الثانـي

السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى

1523م–1554م

المبحث الأول

السياسة البرتغالية في عهد أبو العباس أحمد الوطاسي

المبحث الثانـي

الصراع السعدي الوطاسي

بعدما تمكن البرتغاليون من إحكام سيطرتهم على جلّ المراكز الساحلية للمغرب الأقصى، حاولوا التقرب من السلطة الحاكمة في مدينة فاس، مستغلين في ذلك الضعف الذي كانت تمر به الدولة الوطاسية، خاصة بعد ظهور الدعوة السعدية في الجنوب المغربي التي كان لها الأثر البالغ في تغيير الأوضاع الداخلية للمنطقة في ظل الصراع القائم بينهما حول السلطة، الأمر الذي مكن البرتغال من استغلال فرصة النزاع بين الطرفين لعقد تحالفات معهما من خلال إقامة العديد من الصفقات التجارية بهدف جذب كلا الجانبين ولم تتوقف البرتغال عند هذا الحد، بل سعت إلى تنفيذ سياستها المتمثلة في كسب ود الوطاسيين والسعديين بهدف تجنب أي تحالف بينهما ضدها من جهة، وانشغالهما بشؤونهما الداخلية من جهة أخرى، إلاّ أن ذلك لم يتحقق في ظل تعاظم القوة السعدية التي فرضت وجودها على الساحة السياسية في المغرب الأقصى بالقضاء على بني وطاس نهائيا سنة 1554م.

المبحث الأول: السياسة البرتغالية في عهد أبو العباس أحمد الوطاسي[1]

بعدما آلت الأمور في بلاد المغرب الأقصى إلى أبو العباس أحمد الوطاسي سنة 932هـ الموافق لـ 1524م، خلفا لوالده محمد البرتغالي، صرف أنظاره إلى مواجهة خطر الحركة السعدية الناشئة بالجنوب المغربي من جهة، واستفحال الخطر البرتغالي من جهة أخرى.

1. الهدنة بين أحمد الوطاسي وملك البرتغال جان الثالث:

عمل السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي على إنهاء خصامه مع البرتغاليين حتى يتفرغ لتنظيم شؤون دولته، خاصة ببروز الخطر السعدي المتزايد في الجنوب المغربي الذي يهدد قيام حكمه في المغرب الأقصى، فكلف المولى إبراهيم بن علي[2] بالإتصال بالبرتغال في مدينة أصيلا، كما أمر القائد أحمد العطار-حاكم تادلا- بالقيام بنفس المهمة بأسفي، وحسب الرسالة التي بعثها حاكم أسفي إلى لشبونة فإن القائد العطار قد عرض عليه باسم سلطان فاس السلم والتعاون ضدّ السعديين، على أن يحتفظ كل منها بالأراضي التي سيفتحها، وشرح له أن ملك فاس يرغب في الإستلاء على مراكش إذا ما ساعده البرتغال على ذلك، فسيتخلى لهم على كل البلاد الواقعة على طول الساحل[3]، فكللت هذه المراسلات بين الطرفين الوطاسي والبرتغالي بتوقيع معاهدة بين سلطان فاس أبو العباس أحمد الوطاسي

---

(1)- **أبو العباس أحمد الوطاسي:** هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرتغالي ، بويع سنة 1524م، في عهده استفحل الخطر السعدي في الجنوب المغربي أثناء محاولة توسيعه لنفوذه شمال وشرق المغرب الأقصى، اضطر إلى عقد هدنة مع البرتغال بعد احتلالهم للكثير من الثغور المغربية. للمزيد أنظر: الناصري، الإستقصا، ج5، مصدر سبق ذكره ص149، حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص201.

(2)- **إبراهيم بن علي:** إبراهيم بن راشد الإدريسي، مجاهد شفشاون، أمه إسبانية الأصل تدعى اللا زهرة وأخته السيدة الحرة عائشة، كان المولاي إبراهيم يتقن الإسبانية والعربية، خاض العديد من المعارك ضد المراكز البرتغالية كأصيلا وطنجة، كما لعب دورا هاما في تولية أحمد الوطاسي على حكم مدينة فاس، تولى الوزارة وشارك في جميع الحروب مع أحمد الوطاسي كما قام بمفاوضات مع البرتغال لعقد السلم معهم. للمزيد أنظر: كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص53.

(3)- كريم، المرجع نفسه، ص53.

وملك البرتغال جان الثالث سنة 1538م عن طريق مبعوث البرتغال باستياودي فرجاس[1]إلى فاس وقد عكست هذه الهدنة طبيعة العلاقات البرتغالية الوطاسية، ومدى تحكم القوى الإيبيرية في السياسة الوطاسية، حيث دامت هذه الهدنة لمدة إحدى عشرة سنة إلى غاية 1549م، والتي نصت على إعتراف أحمد الوطاسي بالمناطق المحتلة والحصون التي تمتلكها البرتغال كطنجة وسبتة وأصيلا والقصر الصغير، على أن يخضع المغاربة الذين يقطنون خارج هذه المدن لسلطان فاس مع إمكانية التنقل بحرية للرعايا البرتغاليين في الأماكن المذكورة، كما نصت على تحريم المتاجرة بالأسلحة وعدد من السلع مع الأتراك والفرنسيين في حالة ما إذا رست سفنهم على أرض برتغالية باستثناء السفن الإسبانية والبرتغالية بغرض التعامل التجاري مع المغاربة، إضافة إلى منع كل من المغاربة والبرتغاليين من التعامل مع المسيحيين والأتراك مع توقف الغزوات بين الطرفين[2]، فكان من نتائجها أن سببت للسلطان أبو العباس أحمد الوطاسي العديد من المتاعب الداخلية مع الإمارات الشمالية التي كانت تقوم بأعمال الجهاد ضدّ المراكز البرتغالية من ناحية ومع إمارة دبدو[3] في شرق المغرب من ناحية أخرى التي استاءت من سياسة السلطان الوطاسي الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى استعمال القوة لإخضاع إمارة بني راشد في شفشاون سنة 1541م، وإلى إتباع سياسة المصاهرة[4] مع أمير دبدو مولاي عمر بتزويج ابنته له، وزواجه

---

[1]- **باستياودي فرجاس:** Bastiao de Vergas مبعوث برتغالي إلى أحمد الوطاسي، يتقن اللغة العربية بطلاقة، كتب العديد من تقارير ومراسلات لملكه عن رحلته واتصالاته، كانت مهمته إقتصادية من الوجهة الرسمية لشراء كميات من القمح لمملكة البرتغال وإرسالها عن طريق مينائي المهدية والعرائش، بقي فرجاس في البلاط الوطاسي مدة طويلة إلا أنه ذهب إلى مدينة أصيلا ووصف السلطان فاس بالسذاجة والضعف. للمزيد أنظر: حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره ص211، 212.

[2]- الغنيمي، الموسوعة، مرجع سبق ذكره، ص37، 38.

[3]- **إمارة دبدو:** هي مدينة تقع على بعد 20 فرسخا من مدينة مليلة باتجاه الجنوب، أسسها أحد أمراء بني مرين واتخذها المرينيون حصنا لهم وجعلوا منها مخزنا لحبوبهم، تعد المدينة مركزا هاما في المغرب الأقصى فهي لا تقل أهمية عن تازة ووجدة، وقد أخذت هذه الإمارة تستقل تدريجيا من فاس منذ اشتغال الوطاسيين بمحاربة المراكز الأجنبية وبمقاومة الخطر السعدي. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص270، كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص61.

[4]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي (دط، الجزائر: دار الأمل، 1427هـ، 2006م)،ج1، ص53.

مع السيدة الحرة[1] حاكمة مدينة تطوان، وبذلك لم تكن هذه الهدنة في صالح الوطاسيين رغم أن الملك البرتغالي جان الثالث أخلى قواته من أسفي وأزمور بحجة تركيز قواته على مدينة الجديدة نظرا للأهمية مينائها الصالح للإستعمال في كل الظروف ومع ذلك فقد كان أحمد الوطاسي ينتظر جوابا على مقترحاته من الملك البرتغالي جان الثالث لكن دون جدوى، هذا ما جعل معاهدة السلام بينهما في صالح البرتغال مما عرض حاكم مدينة فاس لإنتقاد العديد من العلماء والأعيان لإبرامه هذه الإتفاقية التي عادت بالفائدة على البرتغاليين أكثر من الوطاسيين[2].

2. التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والبرتغال:

كان المغرب ولا يزال يلعب دور الوساطة بين إفريقيا وأوروبا، في الوقت الذي إحتلت فيه البرتغال السواحل الغربية لإفريقيا وسعيها لفرض سيطرتها على الموانئ الساحلية للمغرب الأقصى لخنق التجارة الخارجية التي كانت تلعب دورا هاما في تصدير منتوجات المغرب الأقصى إلى إفريقيا كالتبر والعاج وريش النعام ومواد الصباغة من جهة والإستفادة منها باستيراد بعض ما كانت تنتجه إفريقيا كمنسوجات وأواني وأسلحة وحلي...إلخ، وبذلك كانت الموانئ المغربية وخاصة الأطلسية منها تشكل نقط إستراتيجية بالنسبة لحركة التجارة الأوروبية بين أوروبا وإفريقيا الغربية والعالم الجديد، الأمر الذي جعل البرتغاليون يثبتون سيطرتهم على الموانئ المغربية بهدف تأمين إستعمالها كنقط إستراتيجية بشكل دائم وغير مكلف وإجتناب وقوعها في يد دولة أوروبية أخرى[3]، ويتضح ذلك جليا من خلال الدور الكبير الذي لعبه التجار البرتغاليون في توطيد السيطرة البرتغالية على السواحل المغربية

---

[1]- **السيدة الحرة:** هي السيدة عائشة ابنة لالا الزهرة ووالدها على بن راشد وهي أخت مولاي إبراهيم الذي صار فيما بعد حاكم شفشاون، دعيت باسم الست الحرة أو السيدة الحرة، حكمت مدينة تطوان في 1542م بعدما تزوجت القائد المنظري حفيد أبو الحسن المنظري، وفيما بعد تزوجت بسلطان فاس أحمد الوطاسي، كان لها نفوذ كبير في تطوان وإتصالات مع الدول الأجنبية. للمزيد أنظر: محمد داود، تاريخ تطوان، (دط، تطوان المغرب: معهد مولاي الحسن، 1379هـ، 1959م) مج1، ص118-120.

[2]- التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج7، مرجع سبق ذكره، ص260، 261.

[3]- عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية، (ط1، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1982م)، ص16، 17.

وذلك من خلال إنشائهم للعديد من المراكز والقلاع على طول هذه السواحل باعتبارها تشرف على الطرق التجارية البحرية الموجهة إلى الهند والشرق الأقصى، وقد أقام البرتغاليون في هذه المراكز قوات مسلحة واتخذوا منها مخازن لتموين أسطولهم البحري ومراكز لإكتساح المناطق الداخلية للبلاد، ومما سهل من زيادة النفوذ البرتغالي في هذه المناطق تعود الأهالي على التعامل معهم، وحتى أن البعض من هؤلاء أعلنوا الطاعة بدفع الإيتاوات والضرائب للحكام البرتغاليين وكان ذلك إيذانا بدخولهم تحت حماية التاج البرتغالي، وهذا ما يتضح من خلال العديد من الرسائل المتبادلة بين ملوك البرتغال والأهالي في السواحل الجنوبية لبلاد المغرب أهمها رسالة أهالي أزمور إلى الملك جان الثاني المؤرخة سنة 1486م يعلنون فيها طاعتهم وخضوعهم لحمايته، مؤكدين له دفع الجزية السنوية المقدرة بعشرة آلاف شابل إلى جانب رسالة أخرى من نفس الملك إلى سكان أسفي سنة 1488م، تضمنت قبول طاعة الأهالي من قبل جان الثالث وذلك بإرسالهم كل شهر سبتمبر ضريبة مقدرة بثلاثة مئة مثقال من الذهب إضافة إلى إقامة مركز تجاري في مدينة آسفي لإستقرار التجار البرتغاليون بها كما عرض الأهالي على حاكم آسفي الدخول تحت الحكم البرتغالي وكرعايا للملك مانويل بدفع إيتاوات من طرف الأعراب وشيوخ القبائل[1] منهم عيسى بوبكر شيخ أعراب الغريبة وغيره من القادة المغاربة لتأدية الخراج وكذا أهل عبدة من أكابرة دكالة يدفعون 1000 حمل بعير كل سنة نصفها قمح وشعير[2]، على أن يكون حمل القمح ضعف حمل الشعير وزيادة على هذا يدفعون أربعة خيول، إضافة إلى العديد من القرى كقرية تازورت التي تعهد أعيانها في 30أوت 1511م بدفع حمل جمل عن كل منزل على أن يكون الحمل مساويا لخمسين صاعا مراكشيا أو خمسة وعشرون ألكير برتغالية[3]، إضافة إلى فرس يختاره قبطان. إن الفائدة التي كانت تجنيها البرتغال من الإيتاوات والضرائب المفروضة على السلع التي كان يدفعها المسيحيون واليهود والمسلمون كبيرة جدا الأمر الذي جعل البرتغاليون يولون

(1)- كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص15-18.

(2)- طوريس، تاريخ شرفاء، مصدر سبق ذكره، ص18.

(3)- بوشرب، دكالة، مرجع سبق ذكره، ص266، 267.

أهمية كبرى لها معتبرين أدائها دليلا على الطاعة والتبعية، متخذة عدة أشكال لأدائها مثل الحبوب كالقمح والشعير، ومواد أخرى كالعسل والمواشي أو تدفع نقدا[1].

1.2. اهتمام البرتغال بالمنتوجات المغربية:

باعتبار أن المغرب كان من أكبر الدول المصدرة للمواد التي كان البرتغاليون في حاجة إليها مثل المنتوجات الزراعية المتوفرة في بعض الأقاليم المغربية[2] كدكالة التي أولى لها البرتغاليون اهتمامهم باستمرار، خاصة عملية الزراعة وحرصهم على أن تكون محاصيل القبائل وفيرة واعتبروا كل تأخر في خدمة الأرض أو امتناع القبائل عن القيام بها ناقوس خطر على أسفي، لهذا كان ملك البرتغال كثير الحرص على محاصيل المنطقة خاصة الحبوب كونها مادة حيوية كالقمح الذي قدر سنة 1516م بـ 100ريال الذي بلغ ذروته سنة 1521م[3] إلى 400ريال بسبب العجز الذي أصاب منطقة دكالة في إنتاج الحبوب، مما حمل البرتغال تكاليف سكان الثغور الموالية لهم وقيامها بإرسال المواد الغذائية لها وبيعها للأهالي إضافة إلى استيراد القمح والشعير من مناطق أخرى وعملوا على تغطية بعض النقص بجلب بعض المواد الغذائية مثل الأرز والذرة...إلخ، حتى أن المسؤولين البرتغاليين حولوا أنظارهم نحو مملكة فاس لتزويدهم بالحبوب من خلال السفير الذي أرسله الملك جان الثالث إلى السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي مكلفا إياه بشراء الحبوب لتحسين أحوال خزينته مما نتج عنه تزايد الطلب على هذه المادة في مدينة فاس وذلك بسبب اهتمام حكام المغرب بتسويقها إلى جانب هذا اهتمامهم بالثروة الحيوانية كشرائهم لعدد من الأبقار والأغنام أو باقتناء كميات من اللّحوم التي قدرت سنة 1511م بـ 100ريال ليرتفع سنة 1512م إلى14000ريال للماشية، هذا فضلا عن اهتمامهم بالجلود المدبوغة أو العادية إضافة إلى

---

[1]- بوشرب، مرجع سبق ذكره، ص266.

[2]- حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص183.

[3]- للمزيد أنظر الملحق رقم 03 ص102.

ذلك كان البرتغاليون كثيري الإعجاب بالخيول المغربية، وخصوصا بخيول أسفي، والتي كانوا يحصلون عليها إما من الضرائب أو الغارات أو بالشراء أو قدمت لهم كهدايا[1].

3. التحالف السعدي البرتغالي:

كان لإنتصار السعديين في حركتهم الجهادية على البرتغاليين في السوس بقيادة أحمد الأعرج، دخول سائر بلاد السوس في طاعته، مما دفع بأمراء هنتانة إلى مبايعته فاستولى بذلك أحمد الأعرج وأخوه محمد الشيخ السعدي على مراكش في حدود سنة 1523م، وعمد الأخوان على توطيد حكمهم في البلاد[2] وشن الغارات على البرتغاليين في السواحل وتحرير بعض الثغور المغربية كأصيلا وأزمور، مما أثار مخاوف الوطاسيين على حكمهم في فاس[3] هذا ما أدى إلى تصادم المصالح السعدية الوطاسية ورغبة كل منهما في تزعم حركة الجهاد لكسب نفوذ أكثر وتثبيت دعائم دولتهم الأمر الذي جعل البرتغاليون يستغلون هذا النزاع بين الطرفين لخدمة مصالحهم التوسعية في المغرب الأقصى، وحسب رسالة وجهها الملك جان الثالث إلى حاكم أسفي في جوان 1523م تعلمه أن الخلاف قد اشتد بين الوطاسيين والمولى أحمد الأعرج، حيث طلب الملك البرتغالي أخبارا مفصلة عن النزاع القائم بينهما ومن البديهي أن البرتغاليين كانوا يترقبون الفرصة السانحة للتدخل في البلاد واغتنامهم لهذا النزاع للتقرب من الفريقين المتنازعين وعرضهم على كلا الخصمين هدنة أوتعاون ضد الفريق الآخر[4]، وبذلك اضطر البرتغاليون إلى توقيع هدنة[5] مع أحمد الأعرج في 22 ذي الحجة 932هـ الموافق لـ 29 سبتمبر 1526م، التي دامت لمدة سنة نصت على التبادل التجاري بين الجانبين خاصة المواد الغذائية والموافقة على مباشرة أهل أسفي لزراعتهم

---

(1)- بوشرب، دكالة، مرجع سبق ذكره، ص288-291.

(2)- الناصري، الإستقصا، ج5، مصدر سبق ذكره، ص15.

(3)- المشرفي، الحلّل البهية، مصدر سبق ذكره،ص261.

(4)- كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص50.

(5)- للمزيد أنظر الملحق رقم 04 ص103.

في إقليم مدينة تازورت[1] وبني ماجر والقرى التابعة لأسفي ونفس الشيء بالنسبة للمسيحيين بالأراضي التابعة للشريف السعدي[2]، الأمر الذي جعل أحمد الأعرج يستغل هذه الهدنة لبسط نفوذه على معظم البلاد الجنوبية مستغلا في ذلك النزاع القائم بين أمراء بني وطاس لصالحه، مما جعله متمسكا بالهدنة مع مملكة البرتغال رغم تحرشات هؤلاء في السوس أو في أحواز أسفي وأزمور ضد أراضي ورعايا السعديين، فمن الواضح أن قوات الإحتلال البرتغالية لم تكن جادة في المحافظة على هذه الهدنة بل سعت لإغتنام أي فرصة للتوسع هذا ما أدى إلى إثارة الوطاسيين في فاس وتأكدهم أن السلطان أحمد الأعرج يستغل الدعوى إلى الجهاد بهدف السيطرة والتملك، الأمر الذي جعل أبو العباس أحمد الوطاسي يعد حملة على مدينة مراكش بمساعدة البرتغاليين، فضرب عليها حصارا وذلك في حدود سنة 1527م في حين توجهت القوات البرتغالية من مينائي أسفي وأزمور لمهاجمة قبائل بني عمير الموالية للسعديين، وحسب رسالة من حاكم أسفي يعلم فيها مملكة البرتغال بحصار الوطاسيين لمدينة مراكش والخسائر الفادحة في صفوف السعديين، إلا أن حصار المدينة لم يدم طويلا بسبب ثورة قامت في مدينة مكناس[3] ضد السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي من طرف ابن عمه مسعود بن ناصر الذي دعا لنفسه بمدينة مكناس مما جعل حاكم مدينة فاس يعود لإخمادها وذلك بفضل وساطة المولى إبراهيم الذي جعل مسعود بن ناصر

---

(1)- **مدينة تازورت:** تقع على بعد 5 أميال من مدينة مراكش وعلى بعد سبعة أميال من جبل الأطلس شمالا، تمتد في واد على ضفاف نهر أسيف المال، خضعت للبرتغاليين، واستقر بها الأشراف السعديون قبل ذلك، تعد مسقط رأس القائم بأمر الله، كان أهل المدينة يدفعون إيتاوات لعامل أسفي إلى أن استولى عليها السعديين وأعفوها من هذا الخراج. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص43.

(2)- التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج8، مرجع سبق ذكره، ص92.

(3)- **مدينة مكناس:** تقع على بعد سبعة عشر فرسخا من سلا، وعشرين فرسخا من المعمورة، كانت تسمى سبيلدة بسبب وجود فرع من زناتة كان يحمل هذا الإسم، ثم غير بعد ذلك إلى مكناس، وهي تعد من أهم مدن مريطانيا الطنجية، فمن عادة ملوك فاس إعطاء هذه المدينة كأهم مدينة بعد العاصمة، ذلك أن محمد الوطاسي أهداها لإبن عمه الذي كان حاكما على أزمور في ذلك العهد الذي أوشك أن يستولي على مدينة فاس لولا عودة حاكم فاس وتمكنه من القبض عليه. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص140، 141.

يستسلم وينقل إلى مدينة فاس التي سجن بها إلى غاية وفاته[1]، وقد ساهم التعاون البرتغالي الوطاسي في تجدد الصراع بين السعديين والبرتغاليين بعد إنقضاء أجل الهدنة بين الطرفين وذلك بقيام محمد الشيخ السعدي بهجوم ضد المراكز البرتغالية وتحريره لميناء أغادير سنة 1541م واتخاذه مركزا للتبادل التجاري مع الأوروبيين وبيع مختلف المنتوجات المغربية مثل السكر والجلود والشمع وغيرها من السلع، الأمر الذي زاد من شهرة وشعبية السعديين لدى المغاربة وإعلان القبائل الموالية للبرتغاليين تبعتها للسعديين مما أدى إلى جلاء القوات البرتغالية عن مينائي أسفي وأزمور للتخفيف عن خزينة الدولة لأن الإحتفاظ بهما أصبح يشكل عبئا على مملكة البرتغال ولم يعد للمينائين أهمية كما كانا عليه سابقا قبل اشتداد قوة السعديين ما عدا احتفاظهم بمازكان على ساحل دكالة والعمل على تحصينها[2]، ذلك كله في ظل تعاظم القوة السعدية فسعى الملك جان الثالث إلى عقد هدنة أخرى معهم فأرسل لذلك وفد إلى مدينة مراكش للتفاوض مع محمد الشيخ السعدي بعدما آلت إليه السلطة وتم ذلك في سنة 25 أفريل 1537م، دامت هذه الإتفاقية لمدة ثلاث سنوات، استغلها محمد الشيخ السعدي للتفرغ إلى تنظيم أمور دولته الناشئة والحث على تنشيط التبادل التجاري بين الطرفين السعدي والبرتغالي[3].

المبحث الثاني: الصراع السعدي الوطاسي

في ظل الأحداث والتطورات التي شهدها المغرب وانقسامه داخليا بين السلطة المركزية في مدينة فاس الخاضعة للحكم الوطاسي والدولة السعدية بالجنوب المغربي التي اتخذت مدينة مراكش عاصمة لها تحت حكم الشريفين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ اتسعت فجوة الصراع بين الوطاسيين والسعديين خاصة بعد تدخل البرتغاليين في دعم كل طرف ضد الآخر.

---

[1]- كريم، مرجع سبق ذكره، ص51-54.

[2]- بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، مرجع سبق ذكره، ص54.

[3]- كريم، مرجع سبق ذكره، ص62.

1.المجابهات العسكرية بين الطرفين:

لما عظمت شوكة السعديين في المغرب الأقصى، وكثرت جموعهم قامت بينهم وبين الوطاسيين حروب على مدينة مراكش[1]، فكانت أول معركة دارت بين الطرفين في مكان يعرف بأنماي[2] وذلك في ذي القعدة سنة 635هـ الموالفق لـ 1528م بين أبي العباس أحمد الأعرج وأحمد الوطاسي التي منيت بانهزام الجيش الوطاسي[3]، هذا ما جعل البرتغاليين يستغلون الإنقسامات الداخلية للمغرب الأقصى في توسيع نفوذهم، وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة التي آل إليها المغرب الأقصى تدخل مجموعة من العلماء والفقهاء لإبرام الصلح بين الطرفين المتخاصمين وذلك سنة 940هـ الموافق لـ 1534م[4]، وتم الإتفاق على كتابة سجّل بينهما من طرف الإمام محمد عبد الواحد الونشريسي[5] الذي بموجبه قسمت البلاد إلى قسمين فأخذ السعديين القسم الممتد من وادي أم الربيع[6] إلى مدينة مراكش، بينما كان من نصيب الوطاسيين من وادي أم الربيع حتى مدينة فاس باستثناء سجلماسة التي كانت

---

(1)- مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، مصدر سبق ذكره، ص15.

(2)- **أنماي:** مدينة صغيرة سكانها بربر من قبيلة مصمودة، بناها الأفارقة القدامى على منحدر أحد جبال الأطلس الكبير المسمى بأنماي على بعد ثلاثة عشر فرسخا من مدينة مراكش، وفيها وقعت معركة بين السعديين والوطاسيين سنة 1528م، انتهت بعقد صلح بينهما. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص61، الزياني، البستان الظريف مصدر سبق ذكره، ص70.

(3)- الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص150.

(4)- حركات، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص201.

(5)- **محمد عبد الواحد الونشريسي:** هو أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي، ولد سنة 1431م، كان ورعا ومتدينا ومتواضعا، انتقل من موطنه الأصلي ونشريس إلى مدينة تلمسان، أخذ عن شيوخها علوم الفقه ثم هاجر إلى مدينة فاس بعدما نهبت أمواله في مدينة الجزائر في ظل الإضطرابات السياسية التي تسبب فيها أعضاء الأسرة الحاكمة من أشهر مؤلفاته كتاب المعيار المعرب، توفي سنة 1504م بمدينة فاس عن عمر يناهز ثمانين سنة، ودفن بمقبرة باب الفتوح بفاس. للمزيد أنظر: عفيفة خروبي، أصول أبي العباس الونشريسي من خلال المعيار المعرب، (دط، الجزائر: القافلة للنشر والتوزيع، دت)، ص159-170.

(6)- **وادي أم الربيع:** نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس بين خنيفرة وعين اللوح، ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة أزمور بعدما يجتاز سهولا بين ناحية دكالة وتامسنا، ومن أكبر روافده واد العبيد الشهير. للمزيد أنظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (دط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م)، ص302.

تابعة لمدينة فاس[1] لكن السعديين نقضوا هذا الصلح وجهزوا جيشا لدخول مدينة فاس بلغ قوامه إثنتي عشر ألف فارس ومئتين من رماة البنادق، فلقيهم أبو العباس أحمد الوطاسي بعشرين ألف فارس وألفين من رماة البنادق إلى جانب إثنتي عشر قطعة من المدفعية والتقى الجيشين على مشرع أبي عقبة[2] بواد العبيد في تادلا[3] سنة 943 هـ الموافق لـ 1536[4] حيث دام الصراع لأسابيع كلل بانتصار أحمد الأعرج ومحمد الشيخ السعدي واستيلائهما على قصبة تادلا في أواخر صفر من نفس السنة، في حين تكبّد أحمد الوطاسي خسائر فادحة. إذ تعد وقعة أبي عقبة من أهم المعارك الفاصلة بين السعديين والوطاسيين[5] حيث تجدد اللّقاء مرة أخرى بين الطرفين في إقليم تادلا عند وادي درنة أحد فروع نهر أم الربيع وهناك جرت المعركة بين جيش محمد الشيخ السعدي وقوات أحمد الوطاسي في رجب 952هـ الموافق لـ سبتمبر 1545م[6]، استرجع خلالها السعديون أهم المراكز البرتغالية التي منحها بني وطاس لهم كميناء أغادير سنة 1541م، وبذلك فقد كل من البرتغاليين والوطاسيين سيطرتهم على هذا الميناء ، كما فرضوا حصارا على مدينة فاس دام لمدة سنة انتهى بإنتصار محمد الشيخ السعدي على أبي العباس أحمد الوطاسي[7].

---

(1)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص14، 15.

(2)- **مشرع أبي عقبة:** أحد مشارع واد العبيد، من بلاد بني جابر في إقليم تادلا، وفيه وقعت إحدى المعارك الكبرى بين السعديين والوطاسيين سنة 1536م، انتهت بهزيمة أحمد الوطاسي، وكانت هذه المعركة في عهد أحمد الأعرج. للمزيد أنظر: الزياني، البستان الظريف، مصدر سبق ذكره، ص70.

(3)- **تادلا:** أو تادلة، تطلق على الإقليم الممتد بين واد العبيد وأم الربيع على طول الجهة الغربية لمرتفعات الأطلسين الكبير والمتوسط، كما تطلق أيضا على قصبة تادلا الواقعة على الضفة الشرقية لنهر أم الربيع. للمزيد أنظر: الزياني، المصدر نفسه، ص78.

(4)- طوريس، تاريخ الشرفاء، مصدر سبق ذكره، ص70.

(5)- حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص202.

(6)- الزياني، مصدر سبق ذكره، ص70.

(7)- حركات، مرجع سبق ذكره، ص202.

1.1.النزاع بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ:

ظهرت بوادر النزاع بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ بعدما أصبح حكم مدينة مراكش في يد أحمد الأعرج سنة 1523، الذي سعى جاهدا إلى تثبيت حكمه بالجنوب المغربي قصد توسيع نفوذه على سائر أقاليم المغرب الأقصى متخذا حركة الجهاد ضد الوطاسيين والبرتغاليين وسيلة لتحقيق مبتغاه، تاركا أخاه محمد الشيخ نائبا له على إدارة منطقة السوس، هذا الأخير الذي كان أصغر من أخيه، وعرف بالذّكاء والجرأة حتى أنّ أحمد الأعرج كان يستشيره في تسيير شؤون الحكم، إلاّ أن التفاهم بين الأخوين لم يدم طويلا فنشب النزاع بينهما بسبب تدخل بعض رجال الحاشية[1]، ومما زاد من حدة هذا النزاع اتساع نفوذ محمد الشيخ في الجنوب المغربي، وتحقيقه لإنتصارات على البرتغاليين من خلال استرجاعه لميناء أغادير سنة 1541م، وأصبح يتحكم في منطقة السوس التي تعتبر العصب الإقتصادي للمغرب الأقصى، هذا ما جعل الأخوين يتنازعان على تقسيم الغنائم بينهما ويظهر ذلك من خلال ما بعث به أحمد الأعرج إلى أخيه محمد الشيخ يطلب منه إرسال خمس الغنائم إليه كونه سلطانا للمغرب الأقصى، لكن هذا الأخير رفض ذلك مطالبا أحمد الأعرج بالاعتراف له بخدماته وما قام به من فتح بهدف خدمة مصالحهما المشتركة موضحا له انشغاله بشؤون الدولة السعدية، الأمر الذي أثار غضب أحمد الأعرج وجعله يطالب القبائل بتأدية الضرائب إليه عوضا عن تأديتها لأخيه محمد الشيخ سنة 1537م[2]، إلاّ أنّ السبب الرئيسي لهذا النزاع يعود إلى مشكلة ولاية العهد، حيث كان أحمد الأعرج يحاول حرمان أخيه من ولاية العهد من بعده وإعطائها لابنه مخالفا بذلك وصية والدهما القائم بأمر الله[3]، ولما بلغ الخلاف بين الأخوين ذروته انعزل كل واحد منهما بطائفة من الجند قدر بحوالي خمسمائة فارس لمحاربة بعضهما البعض، الأمر الذي أدى إلى تدخل بعض الشيوخ للإصلاح والتقريب بينهما، لكن ذلك دون جدوى، حيث أصرّ أحمد الأعرج على محاربة

---

[1]- حركات ،مرجع سبق ذكره ، ص277.

[2]- طوريس، تاريخ الشرفاء، مصدر سبق ذكره، ص77، 78.

[3]- المشرفي، الحلل البهية، مصدر سبق ذكره، ص261.

أخيه محمد المهدي الذي جمع حوله شيوخ وقادة منطقة السوس وضواحيها موضحا لهم الضرر الذي سيلحق بالشعب المغربي إثر خصامهما، فكان لا محالة من قيام حرب بين الأخوين، فلجأ كل واحد منهما إلى جمع قواته لملاقات الآخر، وخرج أحمد الأعرج نحو تارودانت برفقة أكثر من إثنتي عشر فارس وبعض المشاة، في حين جهز محمد الشيخ أزيد من سبعة آلاف فارس وجعلهم تحت قيادة ابنه الحرّان متجها به إلى مدينة مراكش، فالتقى الجيشين ووقع قتال شديد بينهما انتهى بانتصار محمد الشيخ على أخيه أحمد الأعرج[1] الذي أسر مع باقي أسرته، كما فرض محمد الشيخ إتفاقية على أخيه تقضي بتقسيم المناطق الخاضعة لهما، وتعيين إبنه الحرّان ولي عهد لهما، لكن أحمد الأعرج نقض الإتفاق بعدما أطلق صراحه وبذلك تجدد النزاع بينهما انتصر فيه محمد الشيخ على أخيه مرة أخرى في معركة الكاهرة سنة 951هـ الموافق لـ 1544م، التي بموجبها دخل محمد الشيخ إلى مدينة مراكش مستقرا بها، بينما إلتجأ أحمد الأعرج برفقة عائلته إلى تافيلالت، وبذلك تأثرت سمعة السعديين بتغيّر نظرة النّاس إليهم بسبب نزاعهم حول السلطة والنفوذ وإقتسام الغنائم وغير ذلك من الأمور، هذا ما أدى إلى إثارة قبائل السوس وتمرّدها على السعديين الذين إتخذهم المغاربة قادة للجهاد، فقامت أول ثورة ضدهم سنة 1543م في الأطلس الكبير[2].

2.1.الصراع بين محمد الشيخ السعدي وأبي حسون الوطاسي[3]:

لما انتصر محمد الشيخ على أخيه أحمد الأعرج، وصفا له ملك مراكش شرع في توسيع نفوذه على سائر بلاد المغرب الأقصى، فوجه أنظاره لحرب بني وطاس بعدما نكث

---

[1]- طوريس، مصدر سبق ذكره، ص90، 91.

[2]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، مرجع سبق ذكره، ص55.

[3]- **أبي حسون:** هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحي الوطاسي، يقال له أبو حسون، ويعرف بالبادسي، ثالث حكام بني وطاس في مدينة فاس وآخرهم، بويع بعد وفاة أخيه أبي عبد الله البرتغالي سنة . 1526م، ثار عليه ابن أخيه أبو العباس أحمد الوطاسي وخلعه في السنة نفسها، وبقي في مدينة فاس إلى أن استولى عليها السعديون سنة 1549م، وفرّ إلى الجزائر مستنجدا بأتراكها. للمزيد أنظر: الزركلي، الأعلام، ، مصدر سبق ذكره، ص11، 12.

ما كان بينه وبينهم من صلح[1] بحجة أن حاكم مدينة فاس أبو العباس أحمد الوطاسي اتفق مع أبناء أحمد الأعرج على دعمهم له في استرجاع حكم أبيهم في مدينة مراكش[2] هذا ما أثار غضب محمد الشيخ الذي سعى للقضاء على الوطاسيين بمحاولة استيلائه على مدينة فاس، فكان أول ما ملك من بلاد المغرب الأقصى مكناس وذلك سنة 955هـ الموافق لـ1548م، بعد حصار وقتال شديد بينه وبين الوطاسيين[3]، وهذا ما يتضح من خلال رسالة بعث بها حاكم مدينة أصيلا باستياودي فرجاس إلى الملك البرتغالي جان الثالث يعلمه فيها بتوجه محمد الشيخ السعدي إلى مدينة فاس، وأن حاكمها أحمد الوطاسي أشد حرصا في الحفاظ على السلم مع البرتغال والإسبان، فكاد هذا الحرص أن يؤدي إلى إتفاق العواصم الثلاثة فاس ومدريد ولشبونة لولا قيام محمد الشيخ بحملة عسكرية على مدينة فاس إنتهت بانتصاره على أحمد الو طاسي ووقوعه في الأسر، وبذلك فتحت الطريق أمام السعديين نحو فاس، لكن رغم انتصار محمد الشيخ على الوطاسيين في معركة درنة إلاّ أنّه لم يتمكن من دخولها بسبب مبايعة أهلها لمحمد القصري ابن أحمد الوطاسي حاكما عليها وتعيين أبي حسون وزيرا له، وبذلك لم يقم محمد الشيخ بأي عمل ضد مدينة فاس بل أطلق سراح أحمد الوطاسي بعد سنتين من الأسر سنة 1547م بعد أن تنازل له هذا الأخير عن مكناسة[4] الأمر الذي أدى إلى إثارة غضب أبو حسون في قوله «...لا يمكن لهذه المدينة أن تتخلص من مصائبها إلاّ بمعركة، ومن عدم الإنصاف مماطلتها أكثر بإرجاء مهاجمة الأعداء...» معاتبا في ذلك والده أحمد الوطاسي على تماطله وخشيته من الشريف السعدي، مما دفع أبو حسون إلى الخروج من مدينة فاس وبرفقته عدد من الجنود متجها إلى مدينة بادس وهناك جهزّ جيشا للتصدي لمحمد الشيخ، لأنه كان على علم بأن سيطرة السعديين على مدينة فاس

---

(1)- الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص156.

(2)- طوريس، مصدر سبق ذكره، ص95.

(3)- الناصري، مصدر سبق ذكره، ص55.

(4)- كريم، مرجع سبق ذكره، ص68-70.

سيؤدي إلى إنهاء حكم الوطاسيين في المغرب الأقصى[1]، إلاّ أن ذلك لم يمنع محمد الشيخ السعدي من الإستيلاء على مدينة فاس سنة 956هـ الموافق لـ 28 جانفي 1549م، وأسر حاكمها الوطاسي للمرة الثانية، وقبض على جميع أفراد الأسرة الوطاسية ما عدا أبو حسون[2] الذي فرّ إلى إقليم الريف[3] وبقي هناك إلى أن بلغه خبر وفاة والده أحمد الوطاسي مسموما برفقة أربعين شخصا من رجاله في مدينة مراكش سنة 1552م، وبعدما أصبح حكم مدينة فاس في يد محمد الشيخ السعدي أخذ يلاحق أبو حسون في كل مكان، فكان مما قام به توجيه حملة لاحتلال مدينة بادس التي استولى عليها بدون أي مقاومة من أهلها[4].

1.2.1. دور البرتغال والإسبان في الصراع السعدي الوطاسي:

بعد ما تيقن أبو حسون أن مدينة فاس قد أصبحت في يد محمد الشيخ السعدي، أسرع إلى البحث عن الدعم من القوى المجاورة لإسترجاع حكم الوطاسيين فيها، وقبل أن يلجأ إلى مدينة الجزائر لطلب العون من حكامها اتجه أولا إلى إسبانيا مستنجدا بإمبراطورها شارلكان[5] ضد خصمه السعدي[6]، فبعث إليه رسالة[7] سنة 1549م باللغة الإسبانية يطلب فيها المساعدة ضد السعديين الذين كانوا يسعون إلى تصفية بني وطاس الموالين للإسبان

---

(1)- طوريس، تاريخ الشرفاء، مصدر سبق ذكره، ص140-149.

(2)- محمد حجي، «العلاقات المغربية التركية في القرن السادس عشر»، المناهل، 25، الرباط، (1463هـ، 1982م) ص10.

(3)- **إقليم الريف:** يقع في أقصى شمال غرب المغرب، يمتد من منطقة تطوان غربا حتى نهر النكور شرقا على طول سهل تنيف، تبلغ مساحته خمسين فرسخا، يحده من جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط، ويمتد على مسافة قدرها خمس وثلاثين فرسخا نحو الجنوب إلى الجبال المحاذية لنهر أركيل على تخوم إقليم فاس، ومن أشهر مدنه بادس والمزمة...إلخ، كان تابعا لمدينة فاس في عهد بني وطاس. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص229، الزياني، البستان الظريف، مصدر سبق ذكره، ص71.

(4)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص22.

(5)- **شارلكان:** ويعرف في المصادر التركية بـ كارلوس، في حين إشتهر في المصادر العربية بشارل الخامس، أو شارلكان ملك إسبانيا وألمانيا، عاصر فترة حكم السلطان العثماني سليمان القانوني، كان من أعظم ملوك أروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر. للمزيد أنظر: خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد درّاج، (ط1، الجزائر: شركة الأصالة ،1431هـ، 2010م)، ص73.

(6)- الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص159.

(7)- للمزيد أنظر الملحق رقم 05 ص104.

مقابل تسليمه مملكة بادس لهم[1]، إلاّ أنّه لم يجد أذانا صاغية لدى الإمبراطور شارلكان الذي كان منشغلا بحروبه في ألمانيا، فتوجه إلى الملك ماكسيمليان الذي كان نائبا للملك شاركان في إسبانيا، وكان أبو حسون يأمل في الحصول على الدعم منه، فانتقل إلى ألمانيا لمقابلته في جوان 1549م، لكن الملك ماكسيمليان خيّب آماله ولم يستجب لطلبه بسبب انشغاله في حروبه ضدّ اللوثريين[2] من جهة وخشيته من أن يؤدي قبوله في تقديم الدعم لأبي حسون إلى حدوث تقارب سعدي تركي ضد المراكز البرتغالية والإسبانية في المغرب الأقصى إضافة إلى أنّ الملك ماكسيمليان كان يرغب في استمالة محمد الشيخ السعدي إلى جانب هذا كان ملك إسبانيا يرى أن ألفا من الجند لن تمكن أبي حسون من مواجهة السعديين في مدينة فاس[3]، فأجابه الملك ماكسيمليان في قوله «إن أعطيتك جيش النصارى لم يبقى لك في المغرب ناصح، ولا في المسلمين حبيب، فتجتمع كلمة المسلمين عليك فيقاتلوك ويجاهدوا فيمن معك، ويقاتلك الصديق قبل العدو...»[4]، وبحلول 26 سبتمبر سنة 1549م توجه أبو حسون إلى مملكة البرتغال لطلب الدعم من ملكها جان الثالث بعدما خابت آماله في الملك الإسباني، فلقي طلبه هذه المرة قبولا لدى ملك البرتغال، الذي قررّ تسليمه مدينة أصيلا التي كان البرتغاليون عازمون على الجلاء منها، تاركا له فيها المدفعية وخمسمائة مقاتل، وستين فارس بشرط أن يتحصل على ألف جندي من الإسبان، لكن في نهاية المطاف لم يحصل أبي حسون على الدعم من أي طرف، وعاد أدراجه إلى المغرب قاصدا مدينة الجزائر[5]في حين سعت كل من البرتغال وإسبانيا إلى أخذِ الحيطة والحذر من حدوث أي تقارب سعدي تركي ويتضح ذلك من خلال رسالة Luis de Rueda بتاريخ 6 فيفري

---

(1)- التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مرجع سبق ذكره، ص262، 263.

(2)- **اللّوثريين:** أتباع مارتن لوثر (1483م-1546م)، من دعاة حركة الإصلاح الديني في ألمانيا ضد فساد الكنيسة للمزيد أنظر: هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، تر: زينب عصمت راشد وآخرون،(ط3، القاهرة: دار المعارف، 2001م)، ص98-106.

(3)- بن خروف، العلاقات، مرجع سبق ذكره، ص147.

(4)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص22.

(5)- بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص147.

سنة 1549م تشير إلى الإتفاق السعدي التركي، وسعي محمد الشيخ إلى بناء أسطول بحري بهدف تحرير جميع السواحل المغربية، هذا ما زاد من مخاوف الإسبان والبرتغال وقيام كلا الطرفين بتحصين مراكز إحتلالهم بالمغرب، ومنع أي اتصال تجاري مع موانئ الشريف السعدي فيما يخص تجارة الذهب والفضة والسلاح، وبالرغم من كل هذه التدابير التي اتخذتها إسبانيا والبرتغال فإنّ حركة الجهاد إستمرّت ضد مراكزهم في المغرب، مما أجبر الملك البرتغالي جان الثالث على إجلاء قواته من مدينة أصيلا والقصر الصغير، ولم يبقى بحوزة البرتغاليين سوى مدينة طنجة وسبتة ومازكان[1].

2.2.1. الصراع حول مدينة فاس:

1.2.2.1. الدعم التركي لأبي حسون في استرجاع مدينة فاس:

بعد استيلاء محمد الشيخ على مدينة فاس 1549م، شرع في القضاء على بني وطاس بإخضاعه للمناطق الشمالية والشرقية للمغرب الأقصى وتوحيدها تحت حكمه المركزي، هذا ما دفع بآخر حكام بني وطاس أبو حسون إلى التوجه للجزائر مستنجدا بأتراكها ضد محمد الشيخ السعدي بهدف استرجاع حكم الوطاسيين في مدينة فاس[2]، فعبر البحر الأبيض المتوسط قاصدا مدينة الجزائر للحصول على الدعم من باشاها صالح التركماني[3] الذي رفض تقديم المساعدة لأبي حسون في بادئ الأمر لأنّه كان منشغلا بإعداد حملة على الجنوب الجزائري، إلاّ أنّ أبو حسون لم يتوان في طلب العون من أتراك الجزائر على أن يتوجهوا معه إلى المغرب الأقصى لإستعادة حكم أجداده الذي سلب منه، فلجأ إلى استعمال أسلوب الإغراء تارة والإستعطاف تارة أخرى، كما وردت في الإستقصا للناصري في قوله

---

(1)- كريم، مرجع سبق ذكره، ص72، 73.

(2)- الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص25.

(3)- **صالح التركماني:** هو صالح ريس، ولد بالإسكندرية، عين حاكما على مدينة الجزائر سنة 1552م، عمل على تحرير المناطق الساحلية من الغزو الإسباني كمدينة بجاية سنة 1555م، وتوطيد الحكم العثماني بالقضاء على الزعامات المحلية سعى إلى مد النفوذ التركي إلى المغرب بالتعاون مع أبي حسون الوطاسي لإستعادة حكم بني وطاس في مدينة فاس سنة 1554م للمزيد أنظر:

Fray Diogo de Haëdo, Histoire des Rois d'alger, (Adolphie Jourdan librairie éditeur, Paris 1881), P85-88.

« فلم يزل أبو حسون عند ترك الجزائر يفتل لهم في الغاراب والسنام ويحسن لهم بلاد المغرب الأقصى ويعظمها في أعينهم، ويقول أن المتغلب عليها قد سلبني ملكي وملك أبائي وغلبني على تراث أجدادي، فلو ذهبتم معي لقتاله عسى الله أن يتيح النّصر عليه، ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء أيديكم غنائم وذخائر، ووعدهم بمال جزيل، فأجابوه إلى ما طلب وأقبلوا معه في جيش حفيل تحت راية باشاهم صالح التركماني »[1]، وكان ذلك سنة 960هـ الموافق لـ 1553م، ومما عزّز موقف أبي حسون لدى أتراك الجزائر هو محاولة محمد الشيخ الإستيلاء على مدينة تلمسان، فأعدّ صالح ريس لذلك حملة تتألف من أربعة آلاف من حملة البنادق، وألف فارس لدخول مدينة فاس، وبعث أمير كوكو بقسم كبير منهم، كما أرسل غيره من رؤساء العرب بالقسم الآخر، إلى جانب ثمانين من جنود النصارى الأسرى لديهم، وأسطول مؤلف من اثنتين وعشرين سفينة محملة بالأثقال والرجال[2]، بينما قدّر طوريس الحملة الجزائرية المتجهة إلى فاس بخمسة آلاف رجل وإثنتا عشر قطعة حربية[3]ولم يكتفي صالح ريس بهذا فحسب، بل قام بإعلام الإسبان بهدف حملته واتجاهها[4] وفي سبتمبر 1553م انطلقت الحملة نحو مدينة فاس برفقة أبي حسون الوطاسي فوصلت إليها أواخر أكتوبر سنة 1553م، وببلوغ خبر الحملة إلى محمد الشيخ السعدي سارع إلى تجهيز جيش قوامه ثلاثين ألف فارس، واثنتي عشر ألف راجل من رماة البنادق لملاقاة صالح ريس وكان ذلك في 7 ديسمبر 1553م، فالتقى الجيشين في منطقة عيون سيدي ملوك وهي قلعة على حدود مدينة فاس على طريق تازة[5]، وقامت بينهما حروب إنتصر فيها أبي حسون على محمد الشيخ السعدي، فاضطر هذا الأخير إلى الإنسحاب من مدينة

---

(1)- الناصري، الإستقصا، ج4، مصدر سبق ذكره، ص160.

(2)- بن خروف، العلاقات، مرجع سبق ذكره، ص150.

(3)- طوريس، تاريخ الشرفاء، مصدر سبق ذكره، ص190.

(4)- بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص150.

(5)- طوريس، مصدر سبق ذكره، ص190.

فاس[1]، مما دفع بأبي حسون وصالح ريس إلى التقدم لدخول المدينة خاصة بعد حصولهما على الدعم من قبل أبناء أبي حسون الذي قدّر بحوالي ستمائة مقاتل، كما انظم إليهم أمير دبدو مولاي عمر، حيث وصلت هذه الحملة إلى فاس في 3 جانفي سنة 1554م، وأقامت على مقربة من نهر سبو، فلقيهم محمد الشيخ بخمسة عشر ألف فارس خرج بهم من مدينة مراكش وتارودانت، انتهت الحملة بانتصار أبي حسون على محمد الشيخ بعد قتال دام خمس ساعات في كدية المخالي بساحة فاس، ومما حمل أبي حسون على هذا النصر هو تأييد أهل مدينة فاس والتحاق الجند الذين كانوا في صفوف السعديين إلى جيشه، وبذلك إنسحب محمد الشيخ بجيشه إلى مدينة مراكش ودخل أبو حسون إلى فاس في 1صفر 961هـ الموافق لـ 5 جانفي 1554م[2]، واستقرّ حكم فاس للوطاسيين بوجود صالح ريس فيها، هذا الأخير الذي قام بنهب خزينة الشريف السعدي، وأخذ كل ما فيها، كما سيطر على العديد من المراسي المغربية مثل غساسة[3] وحجر بادس التي ظلت تحت حكم الأتراك لمدة عشر سنوات من سنة 1554م إلى 1564م[4]، هذا ما أدى إلى حقد أهل فاس على أتراك الجزائر فاضطر أبي حسون إلى تسديد ديونه لهم وذلك بتقديم ما وعدهم به من مال[5] قدّره طوريس بـ أربعمائة ألف مثقال[6]، ثم عمد بعدها إلى توطيد حكمه في فاس، فقام بتنظيم الجيش وضرب السكة باسمه، وتحصين المدينة وتعميرها[7]، وباستقرار مولاي عمر في إمارة دبدو وأبي حسون في مدينة فاس ساد النفوذ التركي في شرق المغرب ومناطقه الوسطى، مما أثار مخاوف كل من البرتغال والإسبان في ظل السيطرة العثمانية على بعض الموانئ

---

(1)- مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، مصدر سبق ذكره، ص23.

(2)- طوريس، مرجع سبق ذكره، ص193-204.

(3)- **غساسة:** مدينة تقع على بعد سبعة فراسخ من مدينة مليلة، أسسها الأفارقة القدامى على رأس يحمل إسمها، وتسمى ميتاكونيت، استولى عليها الأتراك سنة 1554م. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص262.

(4)- بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص152-154.

(5)- حركات، مرجع سبق ذكره، ص280.

(6)- طوريس، مصدر سبق ذكره، ص206.

(7)- مؤرخ مجهول ، مصدر سبق ذكره، ص24.

المغربية الغربية على مراكز إحتلالهم في المغرب الأقصى، وعلى هذا الأساس بعث الملك البرتغالي جان الثالث رسالة إلى ملك إسبانيا شارلكان يحثه على التدخل في المغرب للحيلولة دون تثبيت الأتراك لأقدامهم في البلاد، لأنّ ذلك يشكل خطرا على مصالحها[1].

2.2.2.1.الدخول الثاني لمحمد الشيخ السعدي إلى مدينة فاس:

لما أتيحت الفرصة لأبي حسون الوطاسي في استرجاع مدينة فاس من قبضة محمد الشيخ السعدي في جانفي سنة 1554م، شرع في إعداد العدّة، وتحصين المدينة ضد أيّ هجوم مباغت من طرف خصمه السعدي، كما تعاون مع أحمد الأعرج ضد خصمهما المشترك –محمد الشيخ– من جهة، ومع البرتغاليين من جهة أخرى[2]، في مقابل ذلك جمع محمد الشيخ قواته من بلاد الحوز[3] والسوس في جيشين، حيث وضع الأول تحت قيادة ابنه عبد الله متجها به نحو مدينة فاس سنة 1554م، لمواجهة أبي حسون فلقيه هذا الأخير بجيش مكون من أهل فاس، وعرب أهل الريف، والتقى الطرفين في موضع يعرف بمسلمة[4] قرب مدينة فاس وجرت المعركة بينهما في سبتمبر 1554م[5] انتهت بانهزام أبي حسون الذي أغتيل من طرف أحد أعوان خصمه، وانضم من بقي من جنده إلى الجيش السعدي وفر إثنان من أبنائه، فلجأ أحدهما إلى الإسبان بينما توجه الآخر إلى الجزائر، أما بالنسبة للجيش الثاني فتولى محمد الشيخ قيادته بنفسه، حيث سار به لقتال أخيه أحمد الأعرج وأبنائه ومحاصرتهم بتافيلالت، واستطاع في الأخير أن ينتصر على أخيه وأسره مع باقي

---

(1)– كريم، المغرب، مرجع سبق ذكره، ص81.

(2)– بن خروف، العلاقات، مرجع سبق ذكره، ص58.

(3)– **بلاد الحوز**: الحوز تعني الكثير، إحدى أقاليم مملكة فاس، تقع في أقصى الشرق، وتمتد من نهر تكريكرة إلى نهر زا تضم جميع جبال الأطلس الكبير، إلى جانب قسم كبير من سهول نوميديا والجبال المحاذية لليبيا الداخلية. للمزيد أنظر: كربخال، إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص268.

(4)– **مسلمة**: موضع قرب مدينة فاس، وفيه وقعت معركة بين محمد الشيخ السعدي وأبي حسون الوطاسي سنة 1554م انتهت بمقتل أبي حسون ودخول محمد الشيخ إلى فاس للمرة الثانية. للمزيد أنظر: الزياني، البستان الظريف، مصدر سبق ذكره، ص71.

(5)– الزياني، المصدر نفسه، ص72.

أسرته[1] وبذلك أحكم محمد الشيخ سيطرته على مدينة فاس للمرة الثانية في 24 شوال 961هـ الموافق لـ 1554م، وبمقتل أبي حسون انتهى الصراع السعدي الوطاسي في المغرب الأقصى[2]، ولما ملك محمد الشيخ السعدي مدينة فاس عمل على تأديب أهلها وإخضاعهم عنوة لسلطته ونكل بالبعض منهم، وقتل البعض الآخر أمثال المفتي عبد الواحد الونشريسي والقاضي عبد الوهاب الزقاق[3] بمدينة فاس، بالإضافة إلى خطيب مكناسة علي حرزوز[4] كما وردت في البستان الظريف للزياني في قوله « وأما أهل الغرب والخلط فانتزع منهم الخيل والسلاح وأسقطهم من الجندّية، وضرب عليهم المغارم، ونقل أعيانهم وأشياخهم إلى مدينة مراكش وأسكنهم بها، وأهملهم ولم يرتب لهم شيئا، ووكل بهم صروف الدهر»[5].

---

[1]- بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص59.

[2]- محمد حجي، « العلاقات المغربية التركية »، مقال سبق ذكره، ص12.

[3]- **عبد الوهاب الزقاق:** من أهل العلم تولى خطبة القضاء والفتوى بمدينة فاس، بعد وفاة الشيخ عبد الواحد الونشريسي وذلك في عهد أبي عبد الله محمد الشيخ السعدي، قتل بأمر من طرف هذا الأخير بسبب اتهامه بميله إلى أبي حسون وذلك سنة 1553م. للمزيد أنظر: محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشاييخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، (ط2، الرباط: دار المغرب، 1397هـ، 1977م)، ص55.

[4]- **علي حرزوز:** هو أبي علي حرزوز المكناسي، من ذرية الشيخ أبي عنّي منصور، كان فقيها وأديبا، أخذ العلم من مشاييخ المشرق، روى أحاديث كتب الجماعة، قتل سنة 1553م، من طرف محمد الشيخ السعدي. للمزيد أنظر: ابن عسكر، المصدر نفسه، ص82.

[5]- الزياني، البستان الظريف، مصدر سبق ذكره، ص36.

من خلال ما تم التطرق له سابقا نستنتج أن السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى من 1523م إلى 1554م تميزت بالود تارة وبالخصومة تارة أخرى، وذلك بما يخدم مصالحها التوسعية في البلاد، ذلك كله في ظل الإنقسامات الداخلية للمغرب والنزاع القائم بين السعديين والوطاسيين خاصة باتساع فجوة الصراع بينهما على حكم البلاد وتسابق كلا الطرفين لعقد العديد من الإتفاقيات والتحالفات مع مملكة البرتغال التي سعت إلى التعاون والتحالف مع كل طرف ضد الآخر، وهذا ما يندرج ضمن السياسة البرتغالية المتمثلة في اغتنام أي فرصة للتدخل في المغرب الأقصى بهدف تثبيت كيانها.

إن إهتمام البرتغال بالمغرب الأقصى يعود إلى اكتساب هذه المنطقة أهمية كبرى لدى البرتغال وذلك من خلال تلبيتها للعديد من الإحتياجات نظرا لغناها بالمواد الأولية على اختلافها، الأمر الذي دفع بمملكة البرتغال للعمل على إستمالة القبائل المجاورة لمراكز إحتلالها كل ذلك في إطار التعاملات التجارية من بيع وشراء لمختلف السلع والمنتوجات.

كان للصراع السعدي الوطاسي حول السلطة والنفوذ في المغرب الأقصى تأثير بالغ على أوضاعه السياسية، من خلال تدخل البرتغاليين في شؤونه وسعيهم إلى فرض سيطرتهم وتثبيت وجودهم في البلاد، لكن هذا الصراع كان لصالح القوى السعدية التي سيطرت على حكم البلاد وأنهت بذلك حكم بني وطاس في المغرب الأقصى سنة 1554م.

لم يكن الإسبان والبرتغال بعيدين عن الأحداث الجارية في المغرب الأقصى، حيث أبدى كل واحد منهما دوره في الصراع القائم بين القوى الحاكمة في المغرب بهدف خدمة مصالحهما المشتركة، مستغلين فرصة لجوء أبو حسون الوطاسي إليهم طلبا للدعم ضد خصمه السعدي. كيف تعاملت القوى السعدية الحاكمة في المغرب الأقصى مع السياسة البرتغالية؟ وإلى أي مدى نجحت السلطة السعدية في منع أي تدخل أجنبي في شؤون البلاد؟

الفصل الثالث

السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى

بعد 1554م.

المبحث الأول

السياسة البرتغالية من 1554م-1578م.

المبحث الثاني

معركة وادي المخازن 1578م.

شهد المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي، نوعا من الإستقرار السياسي في العلاقات السلمية مع دول شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك بالتقرب من القوى الإسبانية والبرتغالية بعقد تحالفات بين الطرفين لصد الخطر العثماني الهادف إلى بسط نفوذه على المغرب الأقصى وإخضاع جميع مناطق الشمال الإفريقي لسلطته، الأمر الذي دفع كل من الإسبان والبرتغال إلى ضرورة تغيير سياستهما المتبعة إتجاه حكام المغرب، إلا أن النزاع القائم بين أفراد البيت السعدي حال دون تحقيق ذلك، هذا ما جعل دولة البرتغال تقبل على غزوها للمغرب الأقصى من خلال التخطيط لخوض حرب صليبية جديدة على الإسلام، فكانت بذلك وقعة وادي المخازن سنة 1578م التي غيرت موازين القوى في المغرب الإسلامي، ودفعت المغرب نحو الإستقرار والتقدم، في حين وضعت حدا لأي تدخل أجنبي في البلاد، وبإنهيار الإمبراطورية البرتغالية تنتهي السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى.

المبحث الأول: السياسة البرتغالية من 1554م إلى 1578م

سعت البرتغال في هذه المرحلة إلى التقرب من السلطة السعدية في المغرب من خلال عقد العديد من الإتفاقيات والتحالفات مع مختلف حكام المغرب في ذلك الوقت واستغلال أي ظرف للتدخل في حكم البلاد. فيما تمثلت السياسة البرتغالية المتغيرة عبر مراحل حكم السعديين في المغرب الأقصى؟

1.عهد محمد الشيخ السعدي 1554م-1557م

1.1.سياسة محمد الشيخ الداخلية:

سعى محمد الشيخ السعدي إلى بسط سلطته على كامل أجزاء المغرب وإقامة حكم مركزي بعيدا عن التجزأة والتقسيم وذلك بإحكام سيطرته على المغرب الأقصى كله، فكان أول ما قام به تنظيم شؤون دولته داخليا من خلال محاولة القضاء نهائيا على أي معارضة أو قوة داخلية ضده، حيث قام بنقل القبائل من جهة إلى أخرى بهدف تحقيق الأمن، سواءً لإضعاف شوكة تلك القبائل أو الإستفادة من خدماتها في الموقع الجديد مثل نقله لعرب الرحامنة من تغاوست بأقصى جنوب المغرب إلى تامسنا[1] بغربي مملكة فاس[2]، كما سعى إلى تكوين جيش نظامي قوي لمجابهة الأخطار الخارجية، خاصة وأن النفقات العسكرية التي كانت تتكبدها الدولة كبيرة جدا مما استوجب عليه وضع سياسة مالية جديدة من شأنها أن تضمن مزيدا من الموارد للحكومة، لذلك لجأ محمد المهدي إلى فرض الضرائب أو النائبة على قبائل المغرب التي أصدر بشأنها فتوى من أهل العلم التي قدرها الناصري بصفحة من الشعير وعشرين مدا من القمح لكل ضريبة أو صاعا من السمن وكبشا لكل أربعة نوائب[3]

---

[1]- **تامسنا:** تطلق قديما على الأراضي الممتدة ما بين وادي الشراط شمالا، ووادي أم الربيع جنوبا كانت مركزا لدولة برغواطة منذ القرن 2هـ، حاربها الأدارسة والزناتيون والمرابطون، وبسقوط الموحدين استوطنها أعراب بنو هلال من المشرق فاندمجوا مع السكان وأصبحت تعرف منذ ذلك الحين بالشاوية. للمزيد أنظر: أبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام، (ط3، الرباط: منشورات كلية الأداب 1997م)، ص233، الصديق بن العربي، تاريخ المغرب ، (ط3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984م)، ص97.

[2]- بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص60.

[3]- الناصري، الإستقصا، ج5، مصدر سبق ذكره، ص31.

هذا ما أدى إلى قيام القبائل بالعديد من الثورات ضده في الجنوب المغربي والجبال ومن ثم توترت علاقته مع القوى المرابطة التي كانت تشكل قوة دعم لسياسة السعديين[1]، حيث إعتمد في تطبيق سياسته على وزرائه من أشهرهم علي بن أبي بكر أزيكي الحاحي وموسي بن أبي جمادى الغمرى، ويكون بذلك محمد الشيخ قد أحدث تغيرات جوهرية فيما يخص كلا من النظام المالي والإداري وحتى الجانب الديني الذي لعب فيه الصلحاء دورا في قيام الدولة السعدية، فقد عاملهم بكثير من الحيطة واتخذ في حقهم العديد من الإجراءات التي وصلت إلى حد الإعدام التي طبقها على البعض منهم بسبب قسوته وعدم إكتراثه لموقف الشعب[2] كما وردت في كتاب الدولة السعدية لمؤرخ مجهول بقوله «... فرض عليهم النائبة وهو أول من أخذها في المغرب... صار يقتل كبار القبائل الذين كانوا معه في بداية أمره كي لا تبقى منه، ورأس على يده من أعيان القبائل قوما آخرين لكي يبقى في أعينهم مهابا...»[3]، فقد دلت الإجراءات التعسفية التي إتخذها في حق الصلحاء على مدى حرصه على نفوذه ومركزه كملك، حيث أرسل سنة 1552م جيشا إلى الأطلس وآخر إلى السوس لإخماد ثورة تزعمها بعض رجال الصوفية لكن الجيش السعدي مني بالهزيمة، كما سعى محمد الشيخ السعدي إلى تحرير أغادير وتمكن من ذلك سنة 1542م، أين تزوج بعدها بإبنة حاكمها البرتغالي التي تدعى دنيا ميشيا Donia Michia، واتخذ بعدها مدينة مراكش عاصمة لدولته التي استمرت في عهد خلفائه، إذ لم يرغب محمد الشيخ السعدي بالبقاء في مدينة فاس لعدم ارتياحه فيها كما أنه لم ينسى الترحيب الذي إستقبل به سكان فاس أبا حسون الوطاسي حين عاد لإسترجاعها سنة 1553م، إضافة إلى أن فاس كانت مدينة حضرية أكثر مما تعود عليه محمد الشيخ الذي تربى في طابع صحراوي، هذا وقد كانت هاته المدينة

(1)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص46.

(2)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص285.

(3)– مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، مصدر سبق ذكره، ص30.

أكثر عرضة لهجمات الأتراك مما استوجب عليه تأمين دولته بإتخاذ عاصمة الدولة بعيدا عن أي تهديد داخلي كان أو خارجيا[1].

2.1. التحالف السعدي الإسباني البرتغالي:

إن إستعادة فاس تحت سيطرة السعديين في 23 ديسمبر 1554م، كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الدولة السعدية الناشئة، فقد سعى محمد الشيخ إلى فرض سيطرته على المنطقة وظهوره كخصم عنيد للأتراك العثمانيين في بلاد المغرب، هذا الصراع بين الطرفين جعله في صالح الإسبان والبرتغال، وذلك من خلال تحالف سعدي إسباني برتغالي ضد الأتراك العثمانيين الذين حاولوا استمالة السلطان السعدي في صفهم وذلك من خلال العديد من الرسائل المتبادلة بين الطرفين إلى أكثر من ثلاثة مراسلات عام 1556م[2]، قابلها محمد الشيخ السعدي بالرفض وعدم الدخول تحت طاعة السلطان العثماني، الذي كان من المفروض على محمد الشيخ السعدي أن يتحد مع الوالي التركي في الجزائر من أجل القيام بعمل مشترك ضدّ مراكز الإحتلال الأجنبي في كل من الجزائر والمغرب، الأمر الذي توقعه حاكم وهران الإسباني الكونت ألكوديت Alcoudete الذي بعث برسالة إلى إسبانيا من وهران في 21 أفريل 1549م، يذكر فيها أن المولى محمد الشيخ أرسل إلى باشا الجزائر مقترحا عليه القيام بعمليات مشتركة لتحرير وهران والمرسى الكبير مضيفا أنه بعث بهدايا إلى أمير البحر درغوث باشا[3] مقترحا عليه الدخول في حرب ضدّ إسبانيا[4]، لكنه قام بعكس ذلك حيث عمد إلى التحالف مع كل من الإسبان والبرتغال حتى يتجنب عواقب فتح وجهات حربية جديدة ويتضح ذلك من خلال رسالة وجهها الملك جان الثالث إلى ضابط مازكان

---

(1)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص46.

(2)– الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص136.

(3)– **درغوث باشا:** ولد سنة 1485م، دخل البحرية كجندي في سن مبكرة، ثم أصبح قائدا لجزء من أسطول خير الدين باشا العثماني، عين فيما بعد قائدا للقوات البحرية العثمانية وتمكن من السيطرة على جزء كبير من تونس وطرد السلطان الحفصي منها سنة 1574م. للمزيد أنظر: يلماز أوزتون، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمد سلمان، تن: محمود الأنصاري، (ط1، تركيا: منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988م)، مج1، ص309، 310.

(4)– التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج8، مرجع سبق ذكره، ص15.

البرتغالي Alvaro de carvallo في جوان 1554م، ردّ فيها على الطلب الذي تقدم به المولى محمد الشيخ إلى كل من مدريد ولشبونة للحصول على الدعم العسكري ضدّ الأتراك مضيفا فيها الشروط التي وضعها الملك من أجل مساعدة السعديين وذلك بتسليمه بعض المراكز المغربية البحرية مثل مدينة بادس، والبينيون والعرائش خاتما رسالته بضرورة إعلام الإمبراطور الإسباني بذلك[1]، ونتيجة لهذه الإتصالات عقدت أولا هدنة بين السعديين والبرتغال بواسطة حاكم مدينة الجديدة، وعهد من ناحية أخرى إلى منصور بن بوكاني بالإتصال مع الإسبان عن طريق رسالة بعثها حاكم وهران الإسباني الكونت ألكوديت في جانفي 1555م يعلمه فيها بإنتظار السلطان محمد الشيخ للوفد الإسباني للتفاوض معه وبذلك توجهت سفارة إسبانية إلى القصر الملكي إلى فاس في 15 ماي 1555م[2]لدراسة مشروع إتفاقية التعاون مع محمد الشيخ السعدي وتبعتها رسالة أخرى في 9 جويلية 1556م من قبل ڤايا دوليد إلى الكونت ألكوديت Alcoudete تنص على ضرورة إبرام الهدنة مع السلطان المغربي محمد الشيخ لمدة عشر سنوات أو أقل على أن تتعهد إسبانيا بتقديم إثنتي عشر ألفا من المشاة ينزلون في الميناء الذي يختاره الشريف على أن يؤدي مرتب هؤلاء الجنود، إضافة إلى تعهد الملك الإسباني بإطلاق سراح الأسرى المسلمين سواءً كانوا أتراك أو مغاربة في مقابل ذلك يتنازل الشريف السعدي عن المواقع التي يرغبون في تسلمها مع عدم السماح لأية سفينة أجنبية بدخول المغرب وعدم بقاء أي أسير مسيحي بين يدي السلطان المغربي، وردًا على ذلك بعث السلطان محمد الشيخ برسالة إلى إسبانيا في 12 مارس 1557م تتضمن مطالبه من أجل الموافقة على إبرام هذه الإتفاقية حيث تعهد هذا الأخير بأداء أجور الجند إبتداءًا من يوم نزولهم بالتراب المغربي على أن لا يتعدى ذلك ثلاثة مثاقيل شهريا، كما إلتزم بأداء نفقات إصلاح السلاح شريطة الإحتفاظ بالموانئ

---

[1]– كريم، مرجع سبق ذكره، ص83.

[2]– التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج8، مرجع سبق ذكره، ص25.

المسترجعة للمملكة المغربية مع الإحتفاظ بإبن الكونت ألكوديت كرهينة لدى ملك المغرب[1] وبذلك شكل محمد السعدي حلفا مع كل من إسبانيا والبرتغال لغزو مدينة الجزائر، غير أن العثمانيين بقيادة صالح ريس استولى على بجاية وتابع مهاجمة الإسبان وإنتصر عليهم مما جعل هذه الأخيرة تتخلى عن حلفائها السعديين الذين هاجموا تلمسان وكادوا يستولون عليها للمرة الثانية لو وصلتهم نجدات من الجيش الإسباني في وهران، وبذلك عدل محمد الشيخ نهائيا عن فكرة غزو الجزائر العثمانية[2]، ورغم ذلك الفشل إلا أنه لم يفكر يوما في الإعتراف ولو رمزيا بالسيادة العثمانية على المغرب فقد كان يدعو السلطان العثماني سليمان القانوني[3] بسلطان الحواتة فقرر هذا الأخير التخلص منه بإرسال مجموعة من الأتراك في هيئة تجار للتقرب منه ومحاولة إغتياله[4]، حيث تتفق المصادر العربية عن رئيس تلك المجموعة المدعو صالح الكاهية، فيذكر الوفراني في النزهة قائلا «... كان أبو عبد الله لا يسمي السلطان العثماني إلاّ سلطان الحواتة... فبعثوا رجلا من أبطالهم يقال له صالح الكاهية في شرذمة قليلة من أجنادهم مظهرين له أنهم هربوا من العثماني ورغبوا في خدمته والتحصن به...»[5] فقد كان لتلك الشخصية دور كبير في إغتيال محمد الشيخ السعدي حيث اتجه إليه على رأس مجموعة على أساس التجارة ونقمهم على الأتراك فقربه إليه محمد الشيخ وجعله من أكبر مستشاريه فقد كان يلازمه إلى أن إغتاله سنة 1557م، قرب

---

(1)– التازي، مرجع سبق ذكره، ص25–29.

(2)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص281.

(3)– **سليمان القانوني:** سليمان خان ابن السلطان سليم خان، ولد سنة 900هـ، 1495م، يعد السلطان العاشر في الخلافة العثمانية، تولى السلطة فيها سنة 1520م، قام بالعديد من الفتوحات كما وضع العديد من القوانين الإدارية لذلك لقب بالقانوني. للمزيد أنظر: عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، (ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995م)، ص60.

(4)– الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص137.

(5)– الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص43.

تارودانت أين تم فصل جسده عن رأسه وحُمّل إلى البلاط العثماني، وبموته إنتهت فترة حكمه، تاركا أولاده خلفة له من بعده على حكم المغرب[1].

2.عهد عبد الله الغالب 1557م-1574م:

بعد مقتل محمد الشيخ السعدي من قبل الأتراك، إستوجب وجود ملك جديد للمغرب يتولى إدارة السلطة فاعتلى محمد بن عبد الله الملقب الغالب بالله عرش المغرب بعدما تمت له البيعة من طرف أهل فاس ثم مراكش في سنة 1557م وذلك لشهرته ومعرفة الناس به إذ يعتبر أكبر أبناء محمد الشيخ السعدي[2]، فقد وضعه والده حاكما على فاس في حياته وبعد أن أتاه خبر وفاة والده، أرسل إلى أعيان مدينة فاس من فقهاء وأعيان وشيوخ كل قبائل المغرب، يعلمهم بموت والده محمد الشيخ ويحثهم على وجوب الطاعة وتجديد البيعة له فمهد له بذلك حكم المغرب الأقصى وتوليه السلطة فيها[3].

1.2. سياسة عبد الله الغالب الداخلية:

تميز عهد الغالب بالله بالكثير من الصعوبات التي جعلته يسعى لتخطيها، خاصة بعد موت والده وقيام أحد وزراء أبيه المدعو علي بن أبي بكر بقتل عمه أحمد الأعرج وأولاده مخافة من قيام هذا الأخير بثورة ضدّ أبناء محمد الشيخ السعدي لاسترجاع حكم المغرب[4] الأمر الذي جعله يولي أهمية كبيرة إلى تنظيم دولته وعدم التوسع واكتساب مناطق جديدة بل سعى إلى تأمين الأملاك التي تحت يديه وتحصين المدن والثغور الهامة[5] فقرر مغادرة مدينة فاس والتوجه إلى مدينة مراكش لاتخاذها عاصمة لدولته كما سبقه لذلك محمد الشيخ السعدي تاركا مدينة فاس تحت حكم أخيه عبد المؤمن[6]،حيث إعتمد على وزراء ذو خبرة في تسير شؤون دولته من بينهم ابن أخيه أبو عبد الله وقاسم الزرهوني وعبد الكريم بن

(1)- حركات، مرجع سبق ذكره، ص282.

(2)- الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص140.

(3)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص35.

(4)- طوريس، مصدر سبق ذكره، ص225.

(5)- الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص145.

(6)- طوريس، مصدر سبق ذكره، ص228.

مومن، كما قام أيضا بتعيين قضاة أكفاء في مختلف الأقاليم والمناطق[1]، وعلى الرغم مما إتصف به من إستقامة تجاه الرعية إلا أنه كان قاسيا في معاملته مع أسرته، فقد شهدت فترة حكمه العديد من الثورات والحركات الإنفصالية إثر مذبحة عمه أحمد الأعرج التي قامت على أثرها عدة ثورات ضدّ الإمارة السعدية من بينها ثورة قادها المولى عثمان في بلاد السوس جنوب المغرب سنة 1558م، وثورة المولى عبد المومن بن محمد الشيخ في نفس السنة[2]، ومما أزّم من الوضع إصرار الغالب بالله على التخلص من إخوته لضمان وراثة العرش لإبنه محمد المتوكل على الله[3] واستطاع بذلك قتل ثلاثة من إخوته بينما فرّ كل من عبد المومن وعبد الملك[4] وأحمد المنصور[5] إلى خارج المغرب سنة 1558م[6]، إلا أن ذلك لم يمنع عبد الله الغالب من تطبيق سياسته وتنظيم أمور دولته خاصة الجانب الديني الذي أولى له أهمية كبرى باعتباره ركيزة الدولة، فقد سعى إلى محاربة أصحاب البدع

---

(1)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص286.

(2)– الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص141.

(3)– **المتوكل على الله:** هو أبو عبد الله محمد المتوكل ابن عبد الله الغالب، يعرف بالمسلوخ لأنه سلخ جلده وحشي تبنا خامس ملوك الدولة السعدية، بويع بعد وفاة والده سنة 1574م، لكنه خلع بعد سنتين من البيعة، خاض حوالي 24 معركة ضدّ عمه عبد الملك، إستنجد بملوك النصارى لإسترجاع حكمه في المغرب الأقصى والقضاء على عمه، توفي غريقا في معركة وادي المخازن سنة 1578م. للمزيد أنظر: الناصري، الإستقصا، مصدر سبق ذكره، ج5، ص57، 58 القشتالى، مناهل الصفا، مصدر سبق ذكره، ص39، أبو خليل، وادي المخازن، مرجع سبق ذكره، ص33.

(4)– **عبد الملك:** هو أبو مروان عبد الملك ابن محمد الشيخ السعدي، الملقب بالمعتصم بالله، سادس الملوك السعديين، ولد سنة 1541م، بويع في مدينة فاس سنة 1576م، حكم المغرب الأقصى في الفترة ما بين 1576م، 1578م، دامت مدة حكمه أربع سنوات كان سياسي محنك، أتقن عدة لغات أوروبية، أمه سحابة الرحمانية قضى فترة في البلاط العثماني وتأثر بنمط الحياة العثمانية، خاض عدة معارك ضد ابن اخيه محمد المتوكل، توفي أثناء معركة وادي المخازن 1578م ثم نقل إلى مدينة مراكش ودفن بها. للمزيد أنظر: الوفراني، النزهة، مصدر سبق ذكره،ص77، الزياني، البستان الظريف، مصدر سبق ذكره، ص72، أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص34–36.

(5)– **أحمد المنصور:** هو أبو العباس أحمد ابن محمد الشيخ السعدي الملقب بالمنصور الذهبي، ولد بمدينة فاس 1549 من أعظم ملوك الدولة السعدية، أمه مسعودة الوزكيتية البربرية المعروفة بالالة عودة، بويع بعد وقوع معركة وادي المخازن في مدينة فاس، بعد عشرة أيام من دخوله إليها دامت فترة حكمه من 1578م إلى غاية وفاته سنة 1603م، في عهده شهدت الدولة السعدية أزهى عصورها. للمزيد أنظر: الزياني، مصدر سبق ذكره، ص72، حركات، مرجع سبق ذكره ص273.

(6)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص94.

والتضييق عليهم وعدم التّحرر الفكري ولم يسلم منه حتى الفقهاء وأصحاب الطرق الصوفية فقد قام بقتل العديد منهم أمثال الفقيه الأندلسي أبا عبد الله محمد الذي تمكن من إقناع البعض من المغاربة على العمل بالمذهب الظاهري، خصوصا بمراكش، كما حارب طائفة الشراقة الذين ينسبون إلى أحمد بن يوسف الراشدي واستولى على بعض الزوايا كزاوية تامصلوحت، هذا ما أدى إلى معارضة العديد من الطرق الصوفية له وأخذ موقف سلبي منه إلا أن هذه السياسة لم تمنعه من التقرب إلى بعضهم خصوصا أتباع الإمام الجازولي كأحمد بن موسى السملالي[1].

2.2. التحالف السعدي البرتغالي الإسباني:

بعد تولي الغالب بالله حكم المغرب، الذي كان عهده مفتوحا على العديد من الجبهات كالأتراك العثمانيون في الجزائر، و الإسبان والبرتغال في السواحل المغربية فقد أدرك مدى خطورة التبعية للإمبراطورية العثمانية التركية خاصة مع معرفته بقوتها ورغبة سلاطينها في ضم المغرب تحت سلطتهم، محاولا التخلص من السيطرة الأوروبية على سواحل المغرب الأمر الذي جعله يتبع منهج والده في المحافظة على السياسة السعدية في المغرب الأقصى والسعي لإيجاد حل يكفله ويبعده عن الخضوع لأي طرف كان، فعمل على إبعاد الأتراك عن المغرب الأقصى بتحالفه مع كل من الإسبان والبرتغال وذلك عن طريق التنازل عن بعض الثغور المغربية لكل منهما، كتسليمه لمدينة البريجة سنة 1562م للإسبان بعد أن كان قد حررها المسلمون من قبل[2]، وذلك لحماية نفسه ودولته من أي هجوم تركي على سواحله خاصة بعد الهجوم الذي قام به العثمانيون على مدينة فاس من تلمسان سنة 1557م بتحريض من أمير دبدو اللاجئ إليهم[3]، لكن القوة المغربية تصدت لذلك بقيادة الغالب بالله وألحقت الهزيمة بالأتراك في سنة 1558م في مكان يعرف بوادي اللبن[4]، فما كان على

---

(1)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص288.

(2)– الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص140.

(3)– التازي، مرجع سبق ذكره، ص09.

(4)– الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص50.

الأتراك إلاّ الانسحاب إلى حجر بادس والإحتماء بها ونتيجة لذلك حاول حاكم وهران الكونت ألكوديت استغلال هزيمة الأتراك فهاجم مدينة مستغانم معتمدا على التحالف المغربي الإسباني، لكن الغالب بالله لم يدخل في الصراع بين الطرفين ما أدى إلى فشل الهجوم الإسباني فشلا ذريعا سنة 1558م، وفي سنة 1560م استغل الغالب بالله الصراع القائم بين الأتراك وزعماء القبائل من بني عباس الذين كانوا حلفاء للإسبان، فتعاون الطرفين الإسباني والمغربي على القيام بهجوم على السواحل الجزائرية واستطاع السعديون الإستلاء على مدينة تلمسان لكن الهزيمة التي ألحقها الأسطول الجزائري بالإسبان جعل السعديون ينسحبون من المدينة خاصة وأن الأتراك كانوا يضعون يدهم على حجر باديس الذي استخدمه الأسطول الجزائري كقاعدة في المغرب الأقصى ضدّ السفن الإسبانية والبرتغالية، وقد أشار السفير الفرنسي في مدريد في رسالة إلى الملك شارل التاسع إلى أهمية الجزيرة وموقعها الإستراتيجي سواءً أكان ذلك بالنسبة لساحل المغرب الشمالي أو بالنسبة للسواحل الإسبانية[1]، الأمر الذي جعل الغالب بالله يتخوف من قيام الأتراك بأي هجوم من حجر بادس على المغرب، فلم يقم بأي فعل يذكر ضدّ البرتغال الذين كانوا مستقرين ببعض المراكز، بل اضطر إلى مهادنتهم في مدينة الجديدة سنة 969هـ الموافق لـ 1561م، وقيامه بتسليم مرسى حجر بادس للإسبان مقابل الدفاع عن الشواطئ المغربية التي لا يملك الحاكم المغربي أسطولا كافيا لحمايتها من الأتراك[2] هذا ما ذكره الأفراني في النزهة قائلا «...لما رأى مولاي عبد الله عمارة الجزائر وسفنهم لا ينقطعون عن مرسى حجر بادس ومرسى طنجة، تخوف منهم وإتفق مع الطاغية أن يعطي له حجر بادس ويخليها من المسلمين، فتنقطع بذلك مادة الترك في المغرب... فنزلوا النصارى على حجر بادس وأخرجوا المسلمين...»[3] فقد سعى إلى الحيلولة دون تردد الأساطيل التركية للموانئ المغربية ولم يكتفي موقفه عند هذا الحد بل

(1)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص46، 47.

(2)– التازي، مرجع سبق ذكره، ص09.

(3)– الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص49.

يذكر مؤرخ مجهول في كتابه تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية دعمه المطلق للإسبان وخيانته لمسلمي الأندلس في إسبانيا قائلا «... فصاروا يكتبون إلى ملوك المسلمين شرقا وغربا وهم ينشدونهم في الإغاثة وأكثر كتبهم إلى مولاي عبد الله لأنه هو القريب إلى أرضهم ... فأمرهم غشا منه أن يقوموا على النصارى ليثق بهم بفعلهم، فلما قاموا تراخى عما وعدهم به وكذب عليهم...»[1] فقد قام الغالب بالله بتقديم وعود كاذبة لمسلمي الأندلس بإغاثتهم ومساعدتهم في ثوراتهم ضدّ الإسبان، ولكنه بمجرد إعلان الأندلسيين الثورة سنة 1568م ضدّ الإسبان تخلى عنهم، حيث ذكر المؤرخ نفسه عن وجود مراسلات بين الطرفين الإسباني والمغربي في هذا الموضوع تهدف إلى رغبة الغالب بالله في هجرة الأندلسيين من إسبانيا إلى المغرب كي يستطيع تكوين جيش منهم في كل من مدينة فاس ومراكش يدافع به عن ملكه وسلطته[2] لكنه لم يلبث طويلا في الحكم إلى أن توفي بسبب مرض الضّيقة الذي أودى بحياته سنة 1574م، أين دفن بمقبرة السعديين بمراكش واضعا ابنه المتوكل على الله خليفة له في حكم المغرب الأقصى[3].

3.عهد محمد المتوكل 1574م-1576م:

1.3. سياسته الداخلية:

اشتهر محمد المتوكل مثلما كان جده محمد المهدي ووالده الغالب بالله، فهو لم يهنئ بالحكم طويلا الذي دام من 1574م-1576م لم يحدث فيها أي تغيير في سياسة السعديين الداخلية، وذلك للطريقة التي تقلد بها حكم المغرب، فقد كان في نظر الرعية مغتصبا للسلطة من أكبر أعمامه الذي كان له الدور الأكبر في خلعه فيما بعد، وذلك بعد أن كسب كل من عبد الملك وأحمد المنصور الدعم من الدولة العثمانية للتوجه إلى فاس لاستعادة عرشها المسلوب منهما[4]، هذا ما أدى إلى قيام معارك كثيرة بين الطرفين أهمها معركة الركن في

---

(1)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص40.

(2)- خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص48.

(3)- حركات، مرجع سبق ذكره، ص287.

(4)- حركات، المرجع نفسه، ص291.

983هـ الموافق لـ 1576م التي قامت بين محمد المتوكّل وعبد الملك ، أين إلتقى فيها الطرفين، عبد الملك مدعما بالجيش التركي أما المتوكل فمدافعا عن حكمه بجيشه المغربي الذي انهزم بعد خروج الأندلسيين منه أمثال سعيد الرغالي وبعض القادة كالقائد جرمون وأولاد عمران، وتأييدهما لعبد الملك[1]، حيث تمكن هذا الأخير من دخول مدينة فاس دون إراقة الدماء في 8 ذي الحجة 983هـ الموافق لـ 9 مارس 1576م، مع فرار محمد المتوكّل بإتجاه مراكش[2]، الأمر الذي نتج عنه إضطراب الأحوال في المغرب كما كانت عليه أيام بني وطاس من فوضى جراء منافسات بين أمراء الحكم السعدي التي كان من نتائجها عودة النشاط إلى أصحاب الطرق الصوفية[3] لم يقف الطرفين عند هذا الحد بل تجدد اللقاء بينهما في معركة خندق الريحان الواقعة على مقربة من وادي شراط من أحواز سلا، في ربيع الثاني 984هـ الموافق لـ جويلية 1576م، قاصدا فيها عبد الملك مراكش لطرد المتوكّل منها، فانهزم فيها هذا الأخير وفرّ مرة أخرى إلى جبل درن فتبعه أحمد المنصور خليفة عبد الملك على فاس للتصدي له في موقعة تنزرت من نفس السنة، أين حاول فيها السلطان المخلوع دخول القصبة التي توجد فيها أخت عبد الملك الست مريم ومعها نحو ثلاثة آلاف من الرماة، لكن المنصور تمكن من الإنتصار عليه بجيش قوامه نحو ثلاثة آلاف فارس في حين كان مع المتوكّل نحو ستين ألفا، وبذلك بايع أهل مدينة مراكش عبد الملك في 19 ربيع الثاني سنة 984هـ الموافق لـ 1576م في حين توجه المتوكّل إلى السوس ومنها إلى بادس ثم سبتة ومنها إلى طنجة محاولا إيجاد حليف له لإعادة عرش والده[4].

2.3.سياسته مع البرتغال وإسبانيا:

تابع المتوكّل سياسة والده في التقرب من دول شبه الجزيرة الإيبيرية بمسالمة كل من إسبانيا والبرتغال لصدّ الخطر العثماني، خاصة مع دعمهم لعمه عبد الملك بالإستلاء على

---

(1)– الناصري، الإستقصا، ج5، مصدر سبق ذكره، ص64.

(2)– سامح التر، مرجع سبق ذكره، ص249.

(3)– الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص158.

(4)– الناصري، مصدر سبق ذكره، ص65–69.

مدينة فاس وخلعه من حكم المغرب، مما جعل المتوكّل يستنجد بادئ الأمر بالملك الإسباني فليب الثاني[1]، من خلال رسالة حررّها في بادس في 12 رمضان 985هـ الموافق لـ 23 نوفمبر 1577م، يذكر فيها ملك إسبانيا بما كان للملوك السابقين في نجدة المتوكّل وهو لا يزال وليا لعهد والده السلطان الغالب بالله، حيث لم يتردد المتوكّل في إظهار حالة الضعف التي كان عليها عبد الملك وكره المغاربة له، ذلك كله للفت نظر فليب الثاني في التعجيل بتقديم المساعدة له[2]، لكن إنشغال إسبانيا بأمورها الداخلية نتيجة للحروب التي خاضتها في أوروبا أضعفت جيشها إضافة إلى ذلك متابعتها لثوار مسلمي الأندلس وإخماد ثوراتهم[3] لأنهم شكلوا معارضة داخلية خصوصا بعد الاستغلال المجحف والفتور السياسي الذي كان بينهم وبين السلطة السعدية في شخص المتوكّل، مما جعل الملك الإسباني يمتنع عن دعم المتوكّل خاصة لمعرفته بمدى قوة الدولة العثمانية وتخوفه من توجه أسطولها إلى إسبانيا ومحاولته الاستيلاء عليها، ويتضح ذلك من خلال رسالة Giovanini Battista في 24 مارس 1576م إلى فليب الثاني يشرح له ضرورة جمعه لقواته في الموانئ المجاورة لإفريقيا وصدّ العثمانيين العازمين على الاستيلاء على المغرب وبالتالي التخوف من غزو إسبانيا وأن الوالي العثماني على الجزائر والمولى عبد الملك وأخاه أحمد عازمون على دخول المغرب وانتزاع السلطة من ابن أخيهما المتوكّل، الأمر الذي أكد لفليب الثاني أن السلطان المغربي المستنجد به سينهزم أمام الأتراك مهما كانت قوته[4]، فما كان على المتوكّل إلاّ التوجه للبلاط البرتغالي والاستنجاد بملكها الدون سباستيان[5] معتمدا على أنصاره أمثال عبد الكريم

---

(1)– **فليب الثاني:** ابن شارل الخامس ملك إسبانيا، خلف والده في حكم إسبانيا، ضم كل من هولندا والبرتغال إلى عرش إسبانيا سنة 1580م، وذلك بعد معركة وادي المخازن. للمزيد أنظر: عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية، ج4، مرجع سبق ذكره، ص309.

(2)– التازي، مرجع سبق ذكره، ص140.

(3)– التر، مرجع سبق ذكره، ص247.

(4)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص99.

(5)– **الدون سباستيان:** يعرف ببرتقيس، ينتمي إلى أسرة أفيس ابن الملك جان الثالث، أمه الأميرة جوانا، تولى الحكم في الفترة ما بين 1557م، 1578م خلفا لوالده، عمل على إستعادة الأمجاد البرتغالية في المغرب، سعى إلى تحقيق=

بن تودة في شأن إغراء العاهل البرتغالي بالمملكة المغربية[1] الأمر الذي جعل للمتوكّل حليف يناصره ضدّ أعمامه من خلال قبول الملك البرتغالي عرضه، وحث هذا لأخير ملك إسبانيا على دعمه من خلال الرسائل المتكررة التي بعث بها الدون سباستيان إلى فليب الثاني يحثه على التدخل في المغرب والحيلولة دون إحتلاله من قبل العثمانيين[2].

4.عهدعبد الملك 1576م-1578م:

أخذ المولى عبد الملك الذي تلقب بالمعتصم بالله منذ أن بدأت الأحوال تستقر لصالحه بالعمل على إعادة الأمن والهدوء إلى المغرب، دون أن يتوان عن ملاحقة المتوكّل الذي ما فتئ يحرض القبائل ويهيئ قواته لإسترداد عرشه المسلوب[3]، وفي ظل ذلك كله وجه عبد الملك نظره إلى إعادة بناء دولته من خلال إنتهاجه سياسة جديدة بالمغرب أكسبته إحترام العديد من الدول وتوفير الأمن والإستقرار، فقد إعتمد كل من عبد الملك وأخيه أحمد المنصور على وزراء من مستوى ثقافي عالي أمثال أبي فارس عبد العزيز القشتالي[4] وعبد العزيز المزوار...إلخ في تسيير شؤون الرعية، كما عمل على إصلاح العديد من قطاعات الدولة كإهتمامه بالتجارة البحرية التي كان لها مردود عالي في غنى خزينة الدولة وقد سعى إلى تشكيل جيش نظامي على الطراز العثماني من حيث التسليح والرتب كما أمر بتجديد السفن وذلك من خلال إحتكاكه بالدولة العثمانية فانتعشت بذلك الصناعة عامة ففرض إحترامه على أهل عصره[5]، مما جعله يسعى إلى توخي الحذر وإقامة علاقات ودية

=مشاريعه التوسعية في بلاد المغرب، استغل فرصة لجوء المتوكّل إليه طالبا المساعدة ضدّ عمه، توفي في معركة وادي المخازن سنة 1578. للمزيد أنظر: القشتالى، مصدر سبق ذكره، ص26، خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص52.

(1)- التازي، مرجع سبق ذكره، ص140.

(2)- كريم، مرجع سبق ذكره، ص98.

(3)- كريم، المرجع نفسه، ص99.

(4)- **عبد العزيز القشتالي:** من أهل فاس، أصل أجداده من قشتالة، يعد من أشهر وزراء الدولة السعدية وأكبر كتاب المغرب وشعرائه في عهدها، من مؤلفاته مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا. للمزيد أنظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي، تق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، (دط، مراكش: مطبعة الوراقة الوطنية، دت)، ج1 ص243.

(5)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص36-40.

مع كل من الإسبان والبرتغال اللذان كانا دائم التطلع في السيطرة على المغرب من جهة ومن جهة أخرى كسب الدولة العثمانية لصفه وضمانها عدم التوسع على حساب حكمه.

1.4. علاقته مع البلاط الإسباني:

تعود صلة عبد الملك بالإسبان إلى أيام وجوده بالبلاط العثماني، فقد فكر سنة 1572م التوجه إليها، لكنه رغم عدم تحقيقه لذلك، إلا أنه كان على تواصل دائم بملكها الإسباني فليب الثاني الذي كان يعلمه بالأحداث التي تجري في الدولة العثمانية وبعد توليه السلطة في المغرب، وطرده لإبن أخيه محمد المتوكّل، عمد عبد الملك في علاقاته مع الإسبان على السياسة السعدية التقليدية[1] المتمثلة في التقرب من الإسبان بهدف الحفاظ على حكمه من خلال إبعاد الأتراك عن المغرب من جهة والحيلولة من جهة أخرى دون تقديم المساعدة الإسبانية للمتوكّل الذي لجأ إليها في بادئ الأمر فاتخذ بذلك عبد الملك إستراتيجية مدروسة سعى من خلالها إلى مسالمة فليب الثاني ملك إسبانيا ويتضح ذلك من خلال العديد من الرسائل التي وجهها عبد الملك كرسالة بتاريخ 16 أفريل 1577م مع حاكم وهران الإسباني Martin Diego التي أعرب فيها عن رغبته في صداقة ملك إسبانيا وحرصه على توقيع معاهدة مغربية إسبانية لتوطيد العلاقات بين الطرفين ودليل ذلك مختلف الرسائل السابقة له، متطرقا فيها لأهم بنود المعاهدة التي تنص على إقرار السلم بين البلدين مع حرية التجارة لرعاياها مع عدم مدّ يد العون ضدّ بعضهما البعض[2]، فقد كانت المراسلات بين الطرفين متوالية ومستمرة بعد تولية عبد الملك الحكم، في حين أعرب فليب الثاني عن فرحته في رغبة عبد الملك بعقد السلم معه من خلال رسالة وجهها ملك إسبانيا إلى مراكش بتاريخ 11ماي 1577م ردا على رسائل عبد الملك المتكررة، يطمئنه فيها ومؤكدا له مدى رغبته في متابعة المفاوضات بينهما مع إنتظار الوقت المناسب لفتح الحوار بين الطرفين[3].

---

(1)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص50، 51.

(2)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص101.

(3)– التازي، مرجع سبق ذكره، ص139.

2.4. علاقته مع البلاط البرتغالي:

بعد أن آلت مقاليد الحكم في المغرب لعبد الملك، وفرار إبن أخيه إلى البرتغال مستنجدا بملكها الدون سباستيان ضد عمه لإسترجاع حكمه، توترت العلاقات البرتغالية المغربية من خلال الرسائل التي بعثها عبد الملك إلى لشبونة يذكر فيها الملك البرتغالي أن الحروب التي يسعى إليها غير عادلة، وأنه يرمي من ورائها لإحتلال المغرب وليس بسبب تأييد طرف ضد آخر يعرض ملك البرتغال نفسه وجيشه للخطر، كما نبهه إلى وعود المتوكّل التي لا قيمة لها، ويختم رسالته ذاكرا فيها قوته المدعومة من قبل السلطان العثماني[1].

3.4.علاقته مع البلاط العثماني:

سعى عبد الملك إلى التودد للسلطان العثماني، نظرا للعلاقات الوطيدة التي تربطه بالدولة العثمانية أيام استنجاد كل من عبد الملك وأخيه أحمد المنصور ضد ابن أخيهما محمد المتوكّل الذي لم يتوان السلطان العثماني مراد الثالث[2] عن دعمه بالعدة والعتاد وكان له ذلك بعدما إستطاع فتح تونس سنة 1574م[3]، حيث فرضت الدولة العثمانية على عبد الملك شروطا لقبول إقتراحه وذلك بأداء تعويض قدره خمسمائة ألف دينار ذهبي وعشرة مدافع، والإلتزام بعقد حلف للهجوم على إسبانيا إضافة إلى التخلي عن ميناء العرائش للعثمانيين واتخاذه كقاعدة لإنطلاق عملياتهم[4]، وبذلك خرج كل من عبد الملك وأحمد المنصور بفرقة مكونة من خمسة آلاف مقاتل دخل بها إلى مدينة فاس وإعلان البيعة لنفسه ولكي يتخلص عبد الملك من أطماع الأتراك في إحتلال المغرب سارع إلى دفع ما كان عليه من ديون للجيش العثماني من خزينة الدولة والمساهمة الإجبارية التي أداها أثرياء مدينة

---

(1)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص103.

(2)– **مراد الثالث:** مراد خان الثالث ابن السلطان سليم الغازي، ولد سنة 1544م، يعد السلطان الثاني عشر للخلافة العثمانية، إعتلى عرشها سنة 1574م، وعمره 29 سنة، دام حكمه عشرون سنة جذب فيها العديد من ملوك أوروبا لتوقيع المعاهدات معه، كما دعم السلطان المغربي في معركة وادي المخازن ضدّ البرتغال. للمزيد أنظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية ،(ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1988م)، ص103.

(3)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص100.

(4)– التازي، مرجع سبق ذكره، ص09.

فاس إضافة إلى تقديمه هدايا للسلطان العثماني مع ذكر إسمه في المنابر[1]، وبذلك قدم أهالي فاس تأييدهم للسلطان مراد الثالث دون الدخول تحت السيطرة العثمانية[2].

المبحث الثاني : معركة وادي المخازن 1578م.

تعتبر وقعة وادي المخازن من أعظم المعارك التي شهدتها الدولة السعدية في تاريخ المغرب، وذلك في عهد السلطان عبد الملك ضد البرتغاليين بتاريخ 30 جمادى الثانية سنة 986هـ الموافق لـ 4 أوت 1578م على مقربة من القصر الكبير[3] في مكان يعرف بوادي المخازن[4] فسميت باسمه، واشتهرت في التاريخ بعدة تسميات منها معركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة[5] وشبهها المغاربة بغزوة بدر، وقد كان لها الأثر البالغ في تثبيت الحكم السعدي في المغرب. فما هي دوافع قيام هذه المعركة؟ وفيما تمثلت نتائجها؟

1. دوافع المعركة:

لقد ساهمت جملة من الدوافع على اختلافها في قيام معركة وادي المخازن بين الطرفين المغربي والبرتغالي تمثلت أساسا فيما يلي:

---

(1)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص290.

(2)– التر، مرجع سبق ذكره، ص251.

(3)– **القصر الكبير:** ويسمى أيضا قصر كتامة لوقوعه في وسط هذه القبيلة، كما يطلق عليه اسم قصر عبد الكريم ويوصف بالقصر الكبير تمييزا له عن القصر الصغير الذي يقع قرب مدينة فاس، ويعرف كذلك بقصر المجاز نظرا لوقوعه في أقرب نقطة بين المغرب والأندلس، ويعتبر هذا القصر إحدى دوائر إقليم تطوان، كان خلال القرن 16م مركزا حضاريا وتجاريا هاما يقصده التجار المسلمين والمسيحيين من مختلف المدن المغربية الشمالية، كمدينة فاس، وطنجة وسبتة غيرها حيث كانت تقام فيه سوق كبيرة، وإزداد شهرة بعد معركة وادي المخازن. للمزيد أنظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، (دط، د ب ن، مطبعة فضالة، 1398م، 1978م)، ج2، ص427.

(4)– **وادي المخازن:** إحدى روافد نهر اللّوكوس الذي يصب عند ميناء العرائش، وفيه وقعت أعظم معركة بين الجيش المغربي والجيش البرتغالي، فحملت اسمه وإشّتهرت في التاريخ بمعركة وادي المخازن. أمّا الرافدان الآخران هما وادي وارور ووداي ريسانة. للمزيد أنظر: الغنيمي، مرجع سبق ذكره، 182.

(5)– **معركة الملوك الثلاثة:** نسبة للملوك الثلاثة الذين توفيوا في المعركة وهم السلطان عبد الملك، وملك البرتغالي سيباستيان، وحليفه محمد المتوكّل. للمزيد أنظر: الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص76.

1.1.الدوافع الدينية:

تمثلت في رغبة الملك البرتغالي سباستيان في خوض حرب مقدسة ضد المسلمين بسبب الحقد الصليبي على الإسلام عامة وعلى المغرب خاصة، وتشبعه بالعقلية الاستعمارية الهادفة إلى فرض السيطرة على بلاد المسلمين، إضافة إلى أنّ الملك سباستيان أراد أن يرفع من شأنه بين ملوك أوربا، ويمحو الخزي الذي لحق بعرش مملكة البرتغال خلال فترة حكم والده يوحنا الثالث الذي تميز عهده بالضّعف والتّقهقر نتيجة للانتصارات التي حققها المغاربة على البرتغاليين، فاضطروا إلى الانسحاب من بعض الموانئ المغربية المحتلة مثل ميناء أسفي، وآزمور، وأصيلا، هذا ما جعل الملك سباستيان يسعى جاهدا إلى التخطيط لغزو المغرب وتعيين نفسه إمبراطورا على القارة الإفريقية تحقيقا لحلمه[1].

2.1. الدوافع السياسية:

لقد كان الدافع السياسي هو الآخر عاملا محفزا على قيام معركة وادي المخازن سنة 1578م، فبعد وفاة سلطان المغرب عبد الله الغالب سنة 1574م بويع ابنه محمد المتوكل ولي عهده، ولمّا علم عبد الملك بالأمر وكان حينها بمدينة الجزائر برفقة أخيه أحمد المنصور سعى إلى تنحية ابن أخيه محمد المتوكل من كرسي العرش[2]، فكان ذلك سببا في تشكيل العداوة بين هذا الأخير وعمه عبد الملك، حيث قامت بينهما حروب حول السلطة في المغرب أدّت إلى لجوء المتوكل إلى الملك البرتغالي سباستيان مستنجدا به ضدّ عمه لاسترجاع حكمه في مدينة فاس، بالمقابل يتنازل له عن جميع السواحل المغربية كالعرائش والقصر الصغير وغيرها من السواحل المغربية، بينما يكون لمحمد المتوكّل المناطق الداخلية فقط[3]، لكن الملك سباستيان استغّل هذه الفرصة لإعادة المجد البرتغالي وذلك باحتلاله

---

(1)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص45، 46.

(2)– التّازي، « وقعة وادي المخازن بدون رقابة » دعوة الحق، ع8، الرباط، (1398هـ، 1578م)، ص27.

(3)– عبد الله الجراري، « وقعة وادي المخازن، 986هـ، 1578م »، دعوة الحق، ع8، الرباط، (1398هـ،1578م) ص144.

أجزاء كبيرة من بلاد المغرب الأقصى، ومن ثم التدخل المباشر في السياسة المغربية[1] وفي ظل اضطراب الأوضاع السياسية التي شهدها المغرب الأقصى بسبب الصراع بين محمد المتوكّل وعمّه عبد الملك حول ولايّة العهد، سارع الملك البرتغالي سباستيان إلى القيام بحملة على المغرب[2].

3.1.الدوافع الإستراتيجية:

نظرا للموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به المدن الساحلية للمغرب الأقصى كمدينة العرائش التي تعد لوحدها سائر مراسي المغرب، ومدينة المعمورة التي تعتبر هي الأخرى مركزا تجاريا مهما كونها تقع على مصّب نهر سبو، حيث كانت تجتمع فيها ثروات سهل الغرب باعتبارها منفذا طبيعيا له، إضافة إلى موانئ مغربية أخرى مثل سلا والقصر الصغير...الخ، هذا ماجعل المغرب الأقصى مطمعا للراغبين في احتلاله والسيطرة على مواقعه الإستراتيجية، فكان ذلك سببا في توجيه الملك سباستيان حملته لغزو المغرب تحقيقا لمشروعه التوسعي، الأمر الذي أدى إلى قيام معركة وادي المخازن سنة 1578م[3].

2. حيثيات المعركة:

1.2. إستعدادات الطرفين:

رغم التحذيرات التي وجهها ملك إسبانيا فيليب الثاني للملك البرتغالي سباستيان من المصير الذي سيلقاه جرّاء تنفيذه لمشروعه الذي طالما حلم به والمتمثل في سيطرته على المغرب الأقصى إلّا أنّه أصّر على أن يرسل حملته لغزو المغرب[4]، ومما سهل على الملك البرتغالي القيام بمهمته لجوء محمد المتوكل إلى لشبونة طلبا للمساعدة من ملكها ضد عمّه عبد الملك بهدف استرجاع حكمه في المغرب الأقصى، مقابل أن يتنازل له عن جميع السواحل المغربية، خاصة بعدما التجأ عبد الكريم بن تودة صهر محمد المتوكّل إلى مدينة

---

(1)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص47، 48.

(2)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص101.

(3)– الشاذلي، الحركة العياشية، مرجع سبق ذكره، ص27–30.

(4)– بن قومار، معركة وادي المخازن، مرجع سبق ذكره، ص71.

طنجة وتنازل للبرتغاليين عن مدينة أصيلا، هذا ما شجع سباستيان على تحقيق مبتغاه وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب والدولة السعدية بوجه الخاص[1]، وبحلول الرابع والعشرين من شهر جوان سنة 1578م انطلقت الحملة البرتغالية من لشبونة باتجاه المغرب الأقصى[2] بلغ تعدادها عشرين ألف جندي إسباني، وإثنى عشر جندي برتغالي وألف جندي إيطالي، وثلاثة ألاف جندي ألماني، وأربعة آلاف جندي بابوي إلى جانب قوّات محمد المتوكل التي قدرت بحوالي خمس مائة فارس[3]، وأقامت الحملة في لاكوس[4] بضعة أيام ثم اتّجهت إلى قادس وبقيت هناك لمدة أسبوع، ثم تابعت سيرها نحو مدينة طنجة فوصلت إليها يوم 6 جويلية سنة 1578م، وهناك التقى الملك سباستيان مع حليفه المتوكل، ولم تتوقف الحملة البرتغالية في مدينة طنجة، بل تقدّمت بأمر من قائدها سباستيان إلى أن وصلت إلى مدينة أصيلا يوم 12 جويلية من نفس السنة، ومكثت فيها إلى غاية 28 جويلية سنة 1578م[5] متخذا من مدينة أصيلا نقطة لانطلاق أسطوله البحري باتجاه المغرب، وكان يومها قد استولى على مدينة العرائش زاحفا بجيشه نحو المغرب الأقصى يرافقه في ذلك محمد المتوكل، أما بالنسبة لعبد الملك فقد كان يترقب تحركات الحملة البرتغالية، ولمّا علم بالأمر جمع قواته التي تشكلت من المجاهدين والجنود النظاميين بالإضافة إلى القوات التركية التي بلغت ستة آلاف من الرّماة، وألف من قبائل زواوة، وثمان مائة فارس مزودة بإثنى عشر مدفعا خرج بها من مدينة مراكش نحو الشمال، وعسكر بسوق الخميس على بعد ستة أميال جنوب وادي القصر الكبير وذلك يوم 3 جويلية سنة1578م ثم

---

(1)- كريم، مرجع سبق ذكره، ص102.

(2)- كريم، المرجع نفسه، ص103.

(3)- الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص178.

(4)- **لاكوس:** ويسمى أيضا بأسمير، وهو اسم أطلق على وادي أبي رقراق، وهو نهر ينبع من جبال غمارة ويمرّ عبر سهل الهبط وأزغار قرب مدينة القصر الكبير، ويصب في محيط قرب مدينة العرائش، كان ميدانا لأعظم معركة شهدها المغرب سنة 1578م، ويطلق الآن على النهر الواقع في منتصف الطريق بين مدينتي تطوان وسبتة. للمزيد أنظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، مصدر سبق ذكره، ص249.

(5)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص49، 50.

انتقل إلى تامسنا ومنها إلى سلا في 14 جويلية من نفس السنة حتى وصل إلى مدينة المعمورة يوم 16 جويلية سنة 1578م، وهناك نصب قطع من المدفعية، وكتب إلى أخيه أحمد المنصور في مدينة فاس يأمره بتجهيز الجيش استعدادا لملاقاة الحملة البرتغالية، ولم يكتفي عبد الملك بهذا فحسب، بل راسل كافة القبائل المغربية يحثها على القيام بالجهاد ضد الاحتلال البرتغالي ومنعه من التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد فلبت القبائل النداء، وإلتفّ الشعب المغربي عامته وخاصته حول قيادة عبد الملك السعدي رافعين راية الجهاد، كما انضمت إليه أعدادا كبيرة من المتطوعين ورجال الطرق الصوفية[1]، ويذكر النّاصري في الاستقصا أنّ جيش المسلمين بلغ تعداده أزيد من أربعين ألف مقاتل وأربع وثلاثين مدفعا زحف بهم عبد الملك إلى جانب أخيه أحمد المنصور لقتال العدو البرتغالي[2]. أدى الرجاء محمد المتوكّل إلى البلاط الإيبيري واستنجاده بالنّصارى ضدّ عمّه عبد الملك إلى تزايد الحماس المغربي في ظل شعورهم بالخطر الأجنبي على البلاد، ولكي يبرر محمد المتوكّل لجوءه إلى النّصارى كتب رسالة إلى أهل المغرب[3] من أعيانه وأشرافه وعلمائه يشكو إليهم نقض بيعته وتوليت عمّه عبد الملك على حكم المغرب قائلا « ما استصرخت بالنّصارى حتى عدمت النّصرة من المسلمين »[4]، وقد ردّ عليه علماء المغرب وأبطلوا مزاعمه وأدانوه على استنجاده بأعداء الإسلام[5]. ولمّا نزل الجيش البرتغالي بالشاطئ المغربي قام بشن الغارات على السواحل المغربية، فراسل أهلها السلطان عبد الملك الذي كان بمدينة مراكش مستعدا للجهاد، فكتب هذا الأخير إلى الملك البرتغالي سباستيان رسالة في 23 جويلية سنة 1578م[6] يستفزه قائلا « إنّ سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى العدوة، فإن ثبتت إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع، وإلّا فأنت كلب ابن

(1)- الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص179.

(2)- الناصري، مصدر سبق ذكره، ص83.

(3)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص179.

(4)- الناصري، مصدر سبق ذكره، ص70.

(5)- الناصري، المصدر نفسه، ص70.

(6)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص59.

الكلب »[1]، وفي رواية أخرى « فأنت يهودي بن يهودي »[2]، الأمر الذي جعل الملك سباستيان يغتاظ بشدة مما كتب له، فأمر بجمع جيشه وإلى جانبه المتوكل الذي استشاره فيما أن يتقدم لقتال عبد الملك أو ينتظر وصول المدد من لشبونة، فأشار عليه بضرورة مواصلة زحفه نحو الداخل واحتلال العرائش والقصر الصغير ومدينة تطاوين[3]، كما بعث عبد الملك أيضا إلى أخيه احمد المنصور بمدينة فاس يطلب منه الخروج بجيشه لقتال العدو وبذلك سار أهل مراكش بقيادة عبد الملك، وخرج أحمد المنصور بجنده من مدينة فاس فالتقى الطرفين قرب مدينة القصر الكبير[4]، وهناك كتب مرّة أخرى إلى الملك سباستيان قائلا «إنّي جئتك من مدينة مراكش ورحلت إليك ستة عشر مرحلة، وأنت لم تدن إليّ مرحلة واحدة»[5]فازداد الملك البرتغالي سباستيان غضبا من خطاب عبد الملك، وجمع قواته ثم زحف بها من وادي تاهدارت[6]يوم الثلاثاء29 جويلية سنة 1578م فنزل بالضّفة اليسرى لوادي مخازن[7]قرب قصر كتامة وذلك يوم الأحد 23 أوت من نفس السنة[8].

كانت الخطابات التي وجهها عبد الملك إلى سباستيان قبل بدء المعركة مكيدة منه للقضاء على عدوه البرتغالي، وتخطيطا محكما بفضل ذكائه ودهائه، حيث استدرج خصمه

---

(1)- الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص74.

(2)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص59.

(3)- **مدينة تطاوين:** بناها الأفارقة القدامى على بعد ثمانية عشر ميلا من مضيق جبل طارق وستة أميال من البحر الأبيض المتوسط، وكلمة تطاوين مصطلح بربري الأصل، وهي جمع لكلمة تيط التي تعني عين الماء الجارية، أطلق عليها المسلمين تسمية كونتيه أو كونديسه بعد فتحها، ومعناها إمرأة عوراء، تعرضت هذه المدينة إلى هجوم برتغالي فخرّبت على آخرها، ثم أعاد بناءها قائد أندلسي وهو المنظري عند قدومه إلى مدينة فاس، وتعد مدينة تطوان إحدى مدن المغرب الأقصى، تقع في الشمّال الغربي لبلاد المغرب، يحدها شرقا البحر الأبيض المتوسط. للمزيد أنظر: الوزان، وصف إفريقيا مصدر سبق ذكره، ج1، ص 318، 319، محمد داود، تاريخ تطوان، مرجع سبق ذكره، مج1، ص44-46.

(4)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص53-55.

(5)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص60.

(6)- **تاهدارت:** واد يبعد عن مدينة طنجة بـ 5 كلم، عسكر فيه الجيش البرتغالي قبل وصوله إلى وادي المخازن وعبوره القنطرة. للمزيد أنظر: بن ڤومار، معركة وادي المخازن، مرجع سبق ذكره، ص77.

(7)- للتعرف على مسيرة الجيش البرتغالي أنظر الملحق رقم 06، ص105.

(8)- كريم، مرجع سبق ذكره، ص105.

إلى عمق المغرب، وأبعده عن أسطوله البحري بهدف قطع المدد عنه من خلال استفزازه للملك البرتغالي نظرا لعصبيته، وقلة خبرته بفنون الحرب والقتال بالإضافة إلى جهله بطبيعة بلاد المغرب[1].

2.2. ميزان القوى لكلا الطرفين البرتغالي والمغربي:

1.2.2. الجيش البرتغالي:

لقد اختلفت الروايات التاريخية حول تعداد فرق الجيش البرتغالي والمغربي[2]، فبالنسبة لجيش الملك البرتغالي سباستيان فتذكر المصادر العربية مثل الوفراني في النزهة أنّه بلغ حوالي مائة وخمسة وعشرون ألف مقاتل، وعند غيره أنّهم كانوا ستين ألف مقاتل وأقل ما قيل في عددهم ثمانون ألف مقاتل، إلى جانب قوات محمد المتوكّل التي بلغت حوالي ثلاثمائة فارس[3]، بينما تشير بعض المراجع على أنّه كان مع الجيش البرتغالي يوم وقعة وادي المخازن عشرون ألف إسباني، وألفي ألماني، وثمان مئة ألف إيطالي، إلى جانب أكثر من أربعين مدفعاً، والعديد من الخيل، كلّها كانت تحت قيادة سباستيان، وإلى جانبهم محمد المتوكّل الذي كان معه جيش يتراوح مابين ثلاثمائة إلى ستمائة رجل، ومئتين من المدافع في حين أنّ الروايات الأوروبية تقلّل من تعداد الجيش البرتغالي بعد الهزيمة التي مني بها بحوالي أربعة عشرة ألف راجل، وألفي فارس، وستة وثلاثين مدفعاً، في المقابل تضخم من عدد الجيش المغربي بخمسين ألف راجل واثنين وعشرين فارس، وألف وخمسمائة من الرّماة مع عشرين مدفعاً[4].

---

(1)- بن قومار، مرجع سبق ذكره، ص77.

(2)-للمزيد أنظر الملحق رقم 07 ص106.

(3)- الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص74.

(4)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص55، 56.

2.2.2.الجيش المغربي:

في ظل الدعْم المغربي الذي لقيه عبد الملك من طرف جموع أهل المغرب، إثر ندائه للجهاد ضد البرتغاليين، استطاع أن يجمع حوله عدداً وافراً من الجند تولى قيادته بنفسه حيث قدَّرت المصادر المغربية قوات عبد الملك بحوالي أربعين ألف مجاهد تميزوا بالخبرة في القتال والهمّة العالية في الجهادِ التي بثها في نفوسهم الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي[1]، إلى جانب أربعة و ثلاثون مدفعاً[2]، كما انظم إليه عدداً من المتطوعين من البربر والعرب والأتراك، وعدد كبير من الصلحاء والعلماء بدافع الجهاد[3] ويذكر مؤرخ مجهول أنّ عدد المسلمين كانوا حوالي ستة وثلاثين ألف جندي، وعدد النصارى مثلهم مرتين[4].

عندما وصل عبد الملك بجيشه إلى القصر الكبير ومعه أخوه أحمد المنصور اتخذه مقراً لقيادته، ووضع مراقبين لتحركات الجيش البرتغالي الذي كان بالضفة اليسرى لوادي المخازن، فتقدم عبد الملك بجنده ونزل بوادي وارور[5]، وفي 4 أوت سنة 1578م عبر الجيش البرتغالي جسر وادي المخازن ونزل بالجهة المقابلة للجيش المغربي، ولمّا رأى عبد الملك أن قوات سباستيان قد أصبحت في عمق المغرب شرع في إتمام خطته[6]، فأرسل أخاه المنصور بأربعة آلاف من الفرسان، وأمرهم بهدم قنطرة وادي المخازن في جفون اللّيل حتى

---

(1)– **أبو المحاسن يوسف:** بن محمد الفاسي، فقيه و عالم صوفي، شارك في معركة وادي المخازن إلى جانب الجيش المغربي، ثم إنتقل من القصر الكبير إلى مدينة فاس سنة 1580، أسس الزاوية الفاسية الأولى سنة 1595م، وكان يعقد بها مجالس للطلبة، و الزاوية الأخرى للمريدْين بهدف تلقينهم الأذكار الشاذلية، توفي سنة 1604م بمدينة القصر الكبير. للمزيد أنظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، مرجع سبق ذكره، ص 364، 365.

(2)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص57، 58.

(3)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص393.

(4)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص61.

(5)- **وادي وارور**: إحدى روافد نهر اللّوكوس الذي يصُبّ في ميناء العرائش، والرافدان الآخران هما وادي المخازن ووادي ريسانة. للمزيد أنظر: الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص182.

(6)- الغنيمي، المرجع نفسه، ص 83.

لا يتفطن العدُو لذلك، فحُطمت القنطرة ولم يكن لوادي المخازن معبراً آخراً سوى هذه القنطرة وبذلك أصبح خط الرجعة منقطعاً أمام الجيش البرتغالي[1]، أما عن تشكيلة الجيش المغربي قبيل بدء المعركة[2]فقد كان في شكل هلال، إذ جعل عبد الملك مدفعيته في المقدمة، وبعدها مباشرة صفوف من الرّماة المُشاة، وجعل قيادته في وسط الجيش، في حين وضع على الجانبين رُماة من الفرسان، وعدد من المتطوعين المغاربة كما احتوت خطته أيضاً على قوات احتياطية من الفرسان جعلها في راحة تامة لمطاردة العدو البرتغالي والتغلُّب عليه، وفي هذه الأثناء التي كان فيها عبد الملك يستعد لخوض المعركة اشتدّ به المرض وكاد أن يفتك بحياته قبل مواجهة خصمه، ورغم استياء حالته إلاّ أنّه أصّر على الخروج لقتال البرتغاليين وتولى قياد الجيش بنفسه إلى جانب أخيه المنصور[3]، في حين كان الجيش البرتغالي على شكل مربع، إذ جعل الملك سباستيان نفسه محاطاً بأربعة كتائب رئيسية حيث وضع المدفعية في مقدمة جيشه، وفي الميمنة القوات الألمانية وفي المسيرة وضع القوات الإسبانية والإيطالية وبجانبيه عدد من الخيالة مع فئة قليلة من أنصار محمد المتوكل، كما وضع قوات أخرى من خلفه لتحميه من أي هجوم مباغت من طرف الجيش المغربي[4].

3.2.مسار المعركة:

كانت صبيحة يوم الاثنين 30 جمادى الثانية سنة 986ه الموافق لـ 4 أوت 1578م يوماً خالداً في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث قام السلطان عبد الملك السعدي بشحن الهمم في نفوس المسلمين، وحثهم على الجهاد ورغَبهم فيه، وكان يذكرهم بوعد اللّه للصادقين في الجهاد[5]، وذلك في قول اللّه تعالى **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ**

---

(1)- مؤرخ مجهول، مصدر سبق ذكره، ص61.

(2)- للإطلاع على تشكيلة الجيشين المغربي والبرتغالي أنظر الملحق رقم 08 ص107.

(3)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص 62.

(4)– سعيد أعراب، « موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب»، دعوة الحق، ع8، الرباط، (1398ه، 1978م) ص93.

(5)– كريم ، مرجع سبق ذكره، ص105.

لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[1]، في المقابل لم يبذل القسيسين والرّهبان أي جهد في إثارة حماس الجيش البرتغالي الذي كان تحت قيادة الملك سباستيان، وما هي إلاّ لحظات حتى انطلقت عشرات الطلقات النّاريّة من كلا الطرفين المغربي والبرتغالي فبدأت بالهجوم إيذاناً ببدء المعركة، ثم أُعطيت الإشارة لمقدمة الجيش البرتغالي فبدأت بالهجوم الأوّل وانقضت على الجناح الأيسر للجيش المغربي وكرد فعل على هذا الهجوم المباغت تقدّم عبد الملك بجنده وشهر سيفه فاتحاً الطريق أمام جيشه نحو صفوف البرتغاليين[2]، فالتقى الجمعان قربَ وادي المخازن، وجرت المعركة[3] بين الطرفين البرتغالي والمغربي يوم الاثنين 30 جمادى الآخرة سنة 986هـ الموافق لـ 4 أوت 1578م[4]، وكان يومها قد اشتدّ المرض بقائد الجيش المغربي عبد الملك الذي أصيب به منذ خروجه من مدينة مراكش إلى القصر الكبير ، ولم تمضي دقائق حتى توفي[5] صبيحة يوم المعركة سنة 1578م واضعاً سبابته على فمه حتى يكتموا أمره وهو مؤمن بالنّصر[6]، ويصف لنا الوفراني في النزهة ميدان المعركة في قوله « لمّا التقت الفئتان وزحف النّاس بعضهم إلى بعض، وحمى الوطيس، وأسودّ الجو بنقع الجياد ودخان مدافع البارود، واشتدّ القتال، وكثُر الضّرب والطعن، واستمرّ النزال، فلمّا قامت

---

(1)– سورة التوبة، الآية 111.

(2)– أعراب، مقال سبق ذكره، ص93.

(3)– للمزيد أنظر الملحق رقم 09 ص108.

(4)– القشتالي، مصدر سبق ذكره، ص25.

(5)– تعددت الروايات حول وفاة عبد الملك: فيذكر الوفراني سبب وفاته أنّه سُقي سماً من طرف قائد الأتراك رضوان العلج وفي رواية الناصري أنّه دُس له سماً من قبل ابن أخيه محمد المتوكل قبل المعركة، بينما تشير بعض الروايات الأجنبية أنّه توفي نتيجة لفرحة بالنصر، في حين تنفي بعض الروايات قول الوفراني، وأنّ الأتراك لم تكن لهم يدٌ في موته بدليل أنّهم أمدوه بثمانية ألاف مقاتل، وإثني عشر مدفعاً قبل بدء المعركة. للمزيد أنظر: الوفراني، النّزهة،مصدر سبق ذكره، ص77 الناصري، الإستقصا، مصدر سبق ذكره، ج5، ص83، سامح إلتر، الأتراك العثمانيون، مرجع سبق ذكره، ص257 الغنيمي، الموسوعة، ص187.

(6)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص65، 66.

الحرب على ساق توفي عبد الملك عند الصدمة الأولى منه، وكان مريضاً في محفته »[1] ولم يطلّع على وفاته أحد إلاّ حاجبه رضوان العلج[2] الذي كتم موته وبدأ في إصدار الأوامر على المسلمين بمواصلة القتال ضد الجيش البرتغالي على أساس أنّها أوامر من السلطان عبد الملك في قوله « السلطان يأمر فلان أن يذهب إلى موضع كذا، وفلاناً أن يلتزم الرايّة، وفلاناً أن يتقدم، وفلاناً أن يتأخر »[3] كما علم بموته أيضاً أخوه المنصور فكتمها وتولى قيادة الجيش المغربي بنفسه، ثم مال بمقدمة جيشه وقام بهجوم مباغت على مؤخرة الجيش البرتغالي فاشتعل لهيب النّار في بارود البرتغاليين، وتشتتتْ رماتهم، وتفرّق جندهم، ولم يتمكنوا من مواجهة الصدمة التي أدت إلى هلاك قسم كبير منهم، وفرّ الباقون نحو قنطرة نهر وادي المخازن التي كانت قد هدّمت بأمر من عبد الملك، فلم يجدوا ملجأ آخراً سوى أن يُلقوا بأنفسهم في النهر، فغرق البعض منهم، وأُسر البعض الآخر، وقتل من قتل[4]، وسقط الملك البرتغالي سباستيان صريعاً في ميدان المعركة، بعد جراح أصابت جسده، وهلك معه العديد من أتباعه[5] الذين أحصاهم القشتالي في مناهل الصفا بثمانين ألف من المشركين ما بين قتيل وأسير[6]، أمّا محمد المتوكل فإنّه لمّا رأى الهزيمة حلّت بالجيش البرتغالي حاول الفرار لكن دون جدوى فألقى بنفسه في النهْرِ، وانتهَى به الأمر غريقاً في الماء فاستخرجت جثته فيما بعد وسلخ جلده وملئ تبناً، ثم طيف به في مدينة مراكش حتى يكون عبرة لمن يعتبر حيث دامت المعركة اثنتين وخمسين درجة أي أربع ساعات وثلث الساعة [7]، وانتهت

---

(1)- الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص75.

(2)– رضوان العلج: هو حاجب المولى عبد الملك، أخفى خبر وفاته أثناء معركة وادي المخازن حتى لا يؤثر على معنويات الجيش المغربي. للمزيد أنظر: الوفراني، المصدر نفسه، ص75.

(3)- الناصري، مصدر سبق ذكره، ص80.

(4)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص66.

(5)- أعراب، « وقعة وادي المخازن »، مقال سبق ذكره، ص 66.

(6)– القشتالي، مصدر سبق ذكره، ص39.

(7)- الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص75.

في 06 أوت سنة 1578م بانتصار عظيم للمغاربة على البرتغاليين كما أسفرت عن مقتل ثلاثة ملوك هم عبد الملك وملك البرتغال سباستيان وحليفه محمد المتوكل[1].

كانت هناك جملة من العوامل حملت المغاربة على النصر في معركة وادي المخازن ضد البرتغاليين، نذكر منها الخطّة المحكمة التي وضعها عبد الملك من خلال استدراجه لخصمه داخل البلاد وسد طريق العودة عليه برا وبحراً، وذلك بتحطيم قنطرة الوادي كونها المنفذ الوحيد لتراجع الجيش البرتغالي مع قطع وصول المدد إليه، كل ذلك بفضل الفطنة والذكاء التي تميّزت بها شخصية عبد الملك، إلى جانب التعبئة الشعبية التي حضي بها هذا الأخير من قبل المغاربة الذين هبوا لنصرته رافعين راية الجهاد ضد البرتغاليين في شمال البلاد وجنوبها، كما كان للدعم الذي منحه عبد الملك لجيشه عند اللّقاء الأول مع الجيش البرتغالي دوراً بارزاً في تحقيق النّصر إلى أن أفدى بروحه في سبيل حماية البلاد من الخطر البرتغالي، وتولي أخيه أحمد المنصور قيادة الجيش المغربي ومواصلة القتال ضد البرتغاليين[2]، بالإضافة إلى تفوق القوات المغربية التي ضمت خبراء من العثمانيين تميّزوا بالمهارة في الرمي بالمدفعية، إلى جانب مجموعة من الأندلسيين الذين هُجِّروا إلى شمال إفريقيا وعُرفوا بدقّة التصويب في الرمي على مدفَعية الجيش البرتغالي[3] والأهم من ذلك كلّه تلك الآلام التي لم ينساها المسلمين بعد ضياع بلاد الأندلس من أيديهم منذ سقوط غرناطة سنة 1492م، والمعانات التي مرّوا بها بسبب وحشية محاكم التفتيش خاصة في ظل بروز الوعي لدى الشعب المغربي بمدى خطورة الغزو البرتغالي على البلاد وقوّة معنوياته وقناعته في الدفاع عن أرضه وحماية دينه[4]، في المقابل كانت معنويات الجيش البرتغالي ضعيفة خاصة وأن رؤساء هذا الجيش لم يؤمنوا بالخطة التي وضعها قائدهم سباستيان[5]، ولعل

---

(1)- الغنيمي، مرجع سبق ذكره، ص185.

(2)- أعراب، مقال سبق ذكره، ص95.

(3)- الصلابي، مرجع سبق ذكره، ص338.

(4)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص73- 75.

(5)– أعراب، مقال سبق ذكره، ص95.

من الأسباب الأخرى التي أدت إلى انهزام البرتغاليين أمام ضربات المغاربة، استبداد سباستيان برأيه وعدم أخذه بفكرة حليفه المتوكل في احتلال العرائش وتطوان حتى يتمكن من حشد قبائلها إلى جانبه، هذا بالإضافة إلى التحرك البطيئ للجيش البرتغالي بسبب كثرة العربات فيه، وصعوبة الطرق المغربية، الأمر الذي منح للجيش المغربي وقتاً إضافياً لإتمام استعداداته على أكمل وجه، وكذا انعدام التخطيط المحكم للقادة البرتغاليين، كل هذه العوامل وغيرها كانت من دواعي الفشل الذي لحق بالجيش البرتغالي في معركة وادي المخازن[1].

4.2. نتائج المعركة:

1.4.2. بالنسبة للجانب المغربي:

بويع أحمد المنصور سلطاناً للمغرب خلفاً لأخيه عبد الملك بعد الانتصار الذي حققه في معركة وادي المخازن وذلك يوم الاثنين 30 جمادى الثاني سنة 986هـ الموافق لـ 4 أوت 1578م، وبدخوله إلى مدينة فاس يوم الخميس 10 جمادى الآخرة من نفس السنة جُددت له البيعة، وبذلك استقر له الحكم في بلاد المغرب الأقصى[2]، تحقيقاً لرغبة أخيه عبد الملك الذي راسله قبل المعركة قائلا « فاعلم أنّي لا أحب أحداً بعد نفسي كمحبتي لك ورغبتي في إنتقال هذا الأمر من بعدي إلاّ إليك لا لغيرك »[3]، وكان أول ما قام به أحمد المنصور بعد توليه الحكم كتب إلى السلطان مراد الثالث وسائر ملوك الإسلام المجاورين للمغرب يعلمهم بما أنعم الله عليه من الفتح المبين والنّصر العظيم، وتوليه الحكم في المغرب، فعمت الفرحة في بلاد المسلمين، ووردت عليه الرّسل من سائر الأقطار كمدينة الجزائر، وتركيا واسبانيا، والبرتغال، وفرنسا وغيْرها لتهنئته وتقديم أنفسه الهدايا إليه[4]، فكان أوّل الوافدين إليه

---

(1)- سمراء بحري، سميرة بشير شريف،« معركة وادي المخازن و تأثير ها على أوضاع المغرب الأقصى 986ه، 1578م/ 1012ه، 1603م »، (مذكرة لنيل شهادة الماستر)، جامعة خميس مليانة، 2015م، 2016م ص63 .64

(2)- أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص69.

(3)- الوفراني، مصدر سبق ذكره، ص78.

(4)- كريم، مرجع سبق ذكره، ص 109.

من أقرب الأقطار من مدينة الجزائر وهُو حسن البندقي[1] الذي أدى الهديّة، وكان فيها فساطيط الهند الغريبة الشكل والصنعة، وزرابي مبثوثة، وطرف نفيسة، ثم تلتها هدايا الملك البرتغالي أنريك[2]، بثلاثمائة ألف دقات من ريال الفضة، وسلع نفيسة من أنواع الحرير والخز والديباج والسُندس وغيرها من السِترة الهندية المذهبة برقيق الديباج والوشي وعجائب من طرف الهند، وعلى إثرها وصلت رُسل من ملك قشتالة فيليب الثاني محملين بالهدايا إلى سلطان المغرب أحمد المنصور، والتي احتوت على أنواع من حَجر الياقوت المنتقى لذخائر الملوك، كان قد انتزعها فيليب الثاني من تاج آبائه، والذخيرة العظمى عند قومه وأربعة مملوءة من حصباء الدّر الفاخرة، وقصب الزّمرد، وغيرها من الذخائر النفسية والتُحف الدالة على همة مرسلها، ثم قَدمت إليه رُسل السلطان العثماني مراد الثالث 1579م بهديته من ملابس فاخرة وسيف مرصع بالحلي، بالإضافة إلى الملك الفرنسي هنري الثالث الذي بعث هو الآخر سفارة إلى المغرب لتهنئة المنصور وتذكيره بالعلاقات الودية التي كانت بين المغرب وفرنسا في عهد أخيه عبد الملك[3]، الأمر الذي أكسب المغرب مكانة دولية على الصعيد العالمي من خلال السفارات والبعثات التي وُجهت إليه. هذا بالنسبة للجانب السياسي أما من الناحية الإقتصادية فقد شهد المغرب في عهد أحمد المنصور فترة من الهدوء والإزدهار، حيث إمتلئت خزينة الدولة السعدّية بالأموال التي دفعها البرتغاليين لأحم المنصور قصد إفتكاك أسراهم، ونتيجة لذلك إنتعشت التجارة في بلاد المغرب، وعمّ الرخاء، وإزدهرت الفنون وتطورت العلوم والصناعات، وشُيدت القصور والمنشآت العمرانية

---

[1]– **حسن البندُقي:** ويسمى أيضاً بحسن فنزيانو، تولى بكلربك على مدينة الجزائر في جويلية سنة 1577م، دعاه السطان العثماني مراد الثالث إلى إسطنبول سنة 1580م وولاه أميراً على البحر إلاّ أنه أعيد إلى الجزائر سنة 1583م، عمل على تهدئة الأوضاع الداخلية بشمال إفريقيا، عرف بأعمال القرصنة في غربي المتوسط، ومساعدته للأندلييس المضطهدين بإسبانيا على الانتقال إلى شمال إفريقيا. للمزيد أنظر: كريم، مرجع سبق ذكره، ص124.

[2]– **أنريك:** ينتمي إلى أسرة أفيس، آخر ملوك البرتغال، تولى الحكم بعد وفاة سيباستيان سنة 1578م، قام بنقل جثمان هذا الأخير إلى مدينة سبتة بعد معركة وادي المخازن، توفي سنة 1580م، وبموته حدثت أزمة وارثة العرش البرتغالي. للمزيد أنظر: أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص70، 71، كريم، مرجع سبق ذكره، ص111.

[3]- القشتالي، مصدر سبق ذكره، ص49-51.

كما أسفرت المعركة أيضاً عن أثار اجتماعية تمثلت في ثقة الشعب المغربي بنفسه أكثر من ذي قبل، وإطمئنانه على مصيره، وبذلك عاش المغرب مرحلة من الإستقرار والإزدهار في شتى العلوم والفنون، فظهر العديد من الكتاب والشعراء والأدباء أمثال عبد العزيز القشتالي والمقري وابن القاضي[1] وغيرهم، إضافة إلى هذا وضعت المعركة حداً للتوسع التركي في بلاد المغرب، وحمايته من أي تدخل أجنبي[2]، وبالرّغم من أنّ معركة وادي المخازن كانت لصالح المغاربة كونهم حضيوا بالنصر إلاّ أنّهم فقدوا حوالي أربعين أو خمسين ألف من الجند، ويقال أن عبد الملك كان من بينهم[3].

2.4.2. بالنسبة للجانب البرتغالي:

كان لمعركة وادي المخازن أثار سياسية على البرتغاليين خاصة والأروبيين عامة فبعد وفاة الملك سباستيان سنة 1578م إنهارت دولة البرتغال، وعمّ إستياء كبير في لشبونة جراء ما فقدته من أبطالها ولم يبقى من الأسرة الملكية سوى عمه الكاردينال أريكي الذي اعتلى عرش البرتغال خلفاً للملك سباستيان إلى غاية وفاته سنة 1580م، لكن الملك الإسباني فيليب الثاني عمل على إثارة الفتن لإزالته من الحكم، وبالفعل تمكن من جمع المملكتين إسبانيا والبرتغال تحت حكمه سنة 1580م[4]، كما قضت معركة وادي المخازن على مطامع الدول الأوروبية في محاولة غزو المغرب، وتغيرت نظرتهم إليه وبدؤوا يحسبون له ألف حساب[5]، والأهمّ من ذلك كلّه أن هذه المعركة تسببت في هلاك ثلاثة ملوك هم عبد الملك الذي نُقِلَ جثمانه إلى مقبرة السعديين بمدينة مراكش، ومحمد المتوكل الذي سلخ جلده وحُشي

---

(1)– **ابن القاضي:** هو أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبي العافية المعروف بابن القاضي الملقب بشهاب الدين، ولده سنة 960ه الموافق لـ 1553م، كتب عدّة تراجم عن أحمد المنصور، كان من المقربين إليه، إفتداه المنصور عندما تعرض للأسر من قبل القراصنة. للمزيد أنظر: أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، (ط2، رباط: المطبعة الملكية، 1403ه، 1983م)، ص239، 240.

(2)– أعراب، مقال سبق ذكره، ص96.

(3)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص113.

(4)– التر، مرجع سبق ذكره، ص255-257.

(5)– خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص55.

تبنّاً فُلّقب بالمسلوخ[1]، أما ثالثهم فهو الملك البرتغالي سباستيان الذي افتدى جثمانه خاله فيليب الثاني مع من افتداهم من أسرى البرتغال[2]، إلى جانب هذا فقد البرتغاليون حوالي اثنين وعشرين قطعت من المدفعية، وسبع مئة مركبة ببغالها وثيرانها[3]. ويصف لنا أيضاً المؤرخ البرتغالي لويز مارية نتائج المعركة في قوله « وقد كان مخبؤ لنا في مستقبل الإعصار العصر الذي لو وصفته كما وصفه غيري من المؤرخين لقلت هو العصر النحس البالغ في النحوسة، الذي انتهت فيه مدّة الصولة والظفر والنجاح وانقضت فيه أيام العناية من البرتغال، وانطفأ مصباحهم بين الأجناس، وزال رونقهم وذهبت الّنخوة والقوّة منهم وخلفها الفشل، وانقطع الرّجاء، واضمحلّ إبان الغنى والرّبح وذلك هو العصر الذي هلك فيه سباستيان في القصر الكبير من بلاد المغرب »[4].

3. السياسة البرتغالية في عهد أحمد المنصور:

بعد مقتل الملك البرتغالي سباستيان سنة 1578م، إنتهت الأسرة الملكية الحاكمة لدولة البرتغال، ولم يبقى منها إلاّ عمه أريكي الذي خلف سباستيان في الحكم، لكنّه لم يلبث طويلاً حتى توفي سنة 1580م[5]، فتنازع من بعده ملوك أروبا على عرش البرتغال، وتمكن ملك إسبانيا فيليب الثاني من وراثة العرش[6] وذلك بضم الممتلكات البرتغالية للتّاج الإسباني سنة 1580م، خاصة بعدما اعترف له مجلس الكورتيس بالأمر سنة 1581م، وتنتهي بذلك السياسة البرتغالية الإستطانية في المغرب الأقصى، ورغم ذلك بقيت مازغان تحت السيطرة

(1)– حركات، مرجع سبق ذكره، ص294.

(2)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص113.

(3)– أعراب، مقال سبق ذكره، ص95.

(4)– الّناصري، مصدر سبق ذكره، ص 86.

(5)– كريم، مرجع سبق ذكره، ص70.

(6)– أبو خليل، مرجع سبق ذكره، ص70.

البرتغالية لأكثر من مئتي سنة[1] ولم تتحرر إلاّ في عهد المولى محمد بن عبد الله العلوي[2] سنة 1768م.

[1]– الشاذلي، مرجع سبق ذكره، ص27.

[2]– **محمد بن عبد الله : هو** ابن المولى عبد الله بن إسماعيل بن الشريف من ذرية علي بن أبي طالب، الملقب بمحمد الثالث، ولد بمكناس الزيتون سنة 1721م، بويع بعد وفاة والده سنة 1557م على حكم المغرب، توفي سنة 1790م. للمزيد أنظر: عبد الرحمان بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، (دط، الرباط: مكتبة السادة الأشراف 1937م)، ص55.

نستنتج مما سبق أن سلاطين الدولة السعدّية الأوائل اتبعوا سياسة التقرب من القوى البرتغالية والإسبانية، بهدف خدمة مصالح الدولة وإبعاد أي خطر خارجي أو تدخل من طرف الدولة العثمانية التي سعت إلى بسط سيطرتها على بلاد المغرب، إلاّ أنّ ذلك لم يتحقق في ظل النزاع القائم على وارثة العرش السعدي، مما أدى إلى قيام معركة وادي المخازن التي ساهمت في إنهاء مرحلة الصراع حول السلطة في المغرب الأقصى.

تعتبر معركة وادي المخازن حدثاً بارزا في تاريخ المغرب الذي شهد انتصار عظيم وقفزة نوعيّة نحو التقدم والحضارة والمجد مع نهاية القرن 16م، وظهوره كقوة جديدة مهابة على الساحة الدولية.

إنّ أهم ما نتج عن وقعة وادي المخازن مشكلة وارثة العرش البرتغالي بعد وفاة الملك سباستيان الأمر الذي أدى إلى إنهيار الإمبراطوريّة البرتغالية وفقدان سيطرتها في عالم البحار، ومن ثم تراجع هيبتها أمام الدولة الأوروبية، وبذلك استطاعت أن تضع حداً للأطماع الأجنبية في المغرب الأقصى.

الخـاتـمـة

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

– تعتبر الإمبراطورية البرتغالية من الحركات الإستعمارية التقليدية مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م ذلك كله في إطار النزعات الصليبية المعادية للإسلام التي تزامنت مع تحقيق الوحدة السياسية لإسبانيا وسقوط مملكة غرناطة 1492م .

– كان لضياع بلاد الأندلس الأثر البالغ في تغير موازين القوى بين دول شبه الجزيرة الإيبيرية بين دول شبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب الإسلامي، مما نتج عنه تقسيم ممتلكاته بين إسبانيا والبرتغال من خلال إتفاقية 1494م.

– إستطاعت البرتغال إحكام سيطرتها على المغرب الأقصى في وقت كان يشهد فيه حالة من الضعف والتفكك والتجزئة في ظل غياب سلطة مركزية ثابتة إستغلتها البرتغال لفرض سياستها على أجزاء من هذه المنطقة، فكانت مدينة سبتة أول الثغور المغربية التي إحتلتها البرتغال سنة 1415م.

– أدى الإحتلال البرتغالي للمغرب الأقصى إلى بروز رد فعل مغربي قوي قاده زعماء الطرق الصوفية ضمن حركة الجهاد الديني بسبب عجز السلطة الوطاسية في الدفاع عن البلاد والإلتفاف الشعبي حول القوى السعدية الناشئة في الجنوب المغربي الرافضة للغزو البرتغالي للبلاد، إلا أن ذلك لم يمد طويلا بعد 1554م أين ظهر جليا التقارب السعدي البرتغالي الإسباني.

– تميزت السياسة البرتغالية عبر مراحل تواجدها في المغرب الأقصى بالود تارة والخصومة تارة أخرى متأثرة بتغير الأوضاع الداخلية للمغرب، وظهور قوة جديدة على مسرح الأحداث مما دفع بالبرتغال إلى إتخاذ إستراتيجية جديدة تمثلت في عقد تحالفات مع الطرفين المتنازعين على حكم المغرب، السلطة الوطاسية بفاس والسلطة السعدية بمراكش بهدف تغذية الصراع بين الوطاسيين والسعديين بما يخدم مصالحها التوسعية في البلاد.

- تعتبر معركة وادي المخازن حدا مفصليا في تاريخ المغرب الأقصى لما لها من مكانة على الصعيدين الداخلي والخارجي، والدور البارز الذي قامت به من خلال قضائها نهائيا على السياسة البرتغالية في المنطقة، وإلحاقها بالتاج الإسباني سنة 1580م، مما نتج عنها غياب البرتغال عن الساحة الدولية قرابة الستين سنة.

- من خلال دراستنا للموضوع لاحظنا أن هناك جوانب أخرى في الدراسة تستدعي الوقوف عندها والتعمق فيها خاصة فيما يتعلق بالقوى التي حلت محل الإمبراطورية البرتغالية وسياستها المتبعة مع السلطة المغربية.

الملاحق

الملحق رقم 01:

الغزو الإيبيري لسواحل المغرب الأقصى خلال القرنين 15 و16م[1]

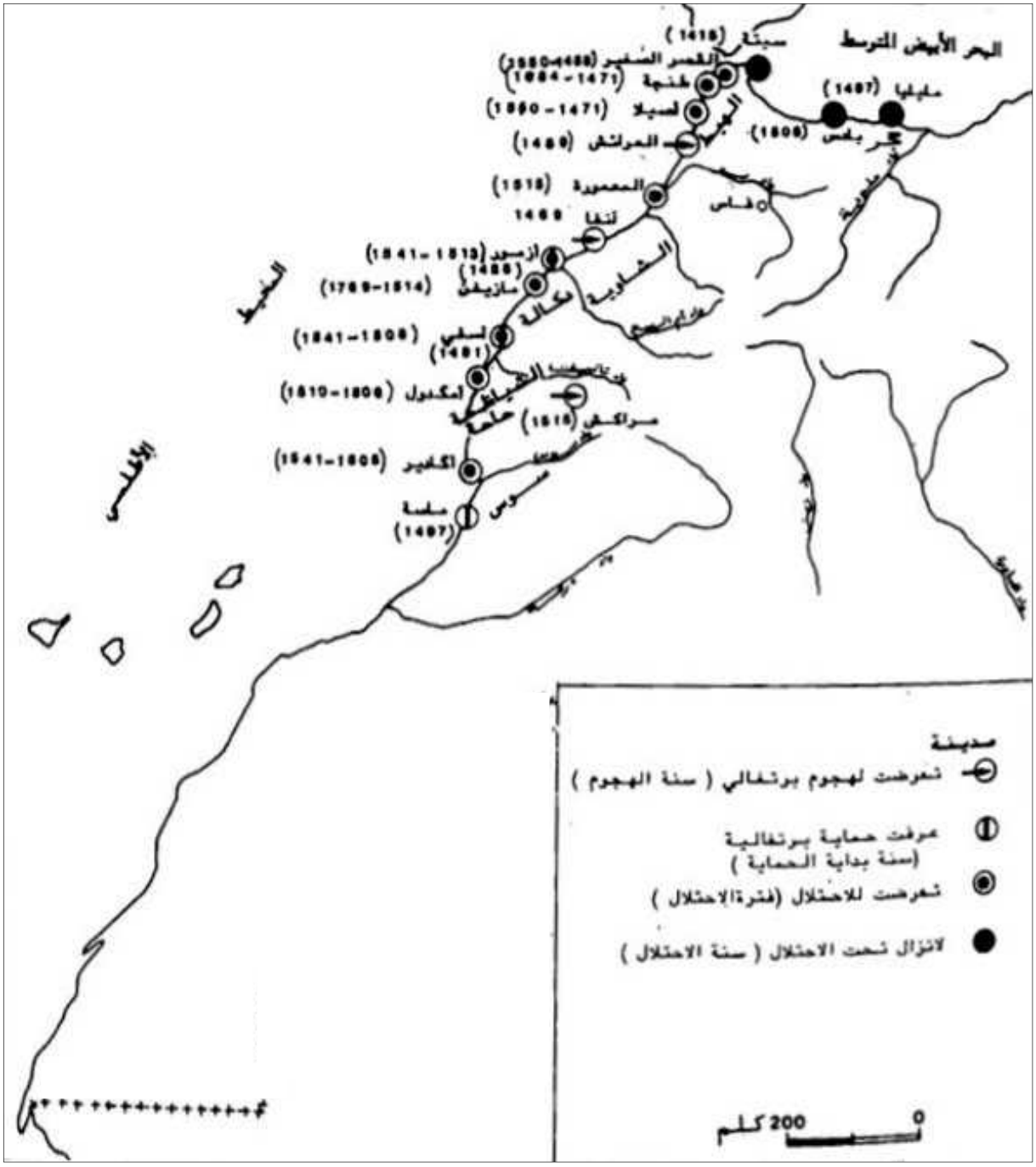

[1]– بوشرب، مغاربة في البرتغال، مرجع سبق ذكره، ص23.

الملحق رقم 02:

تقلص مساحة المغرب الأقصى في عهد الوطاسيين نتيجة الغزو البرتغالي

للثغور المغربية شمالا وجنوبا[1]

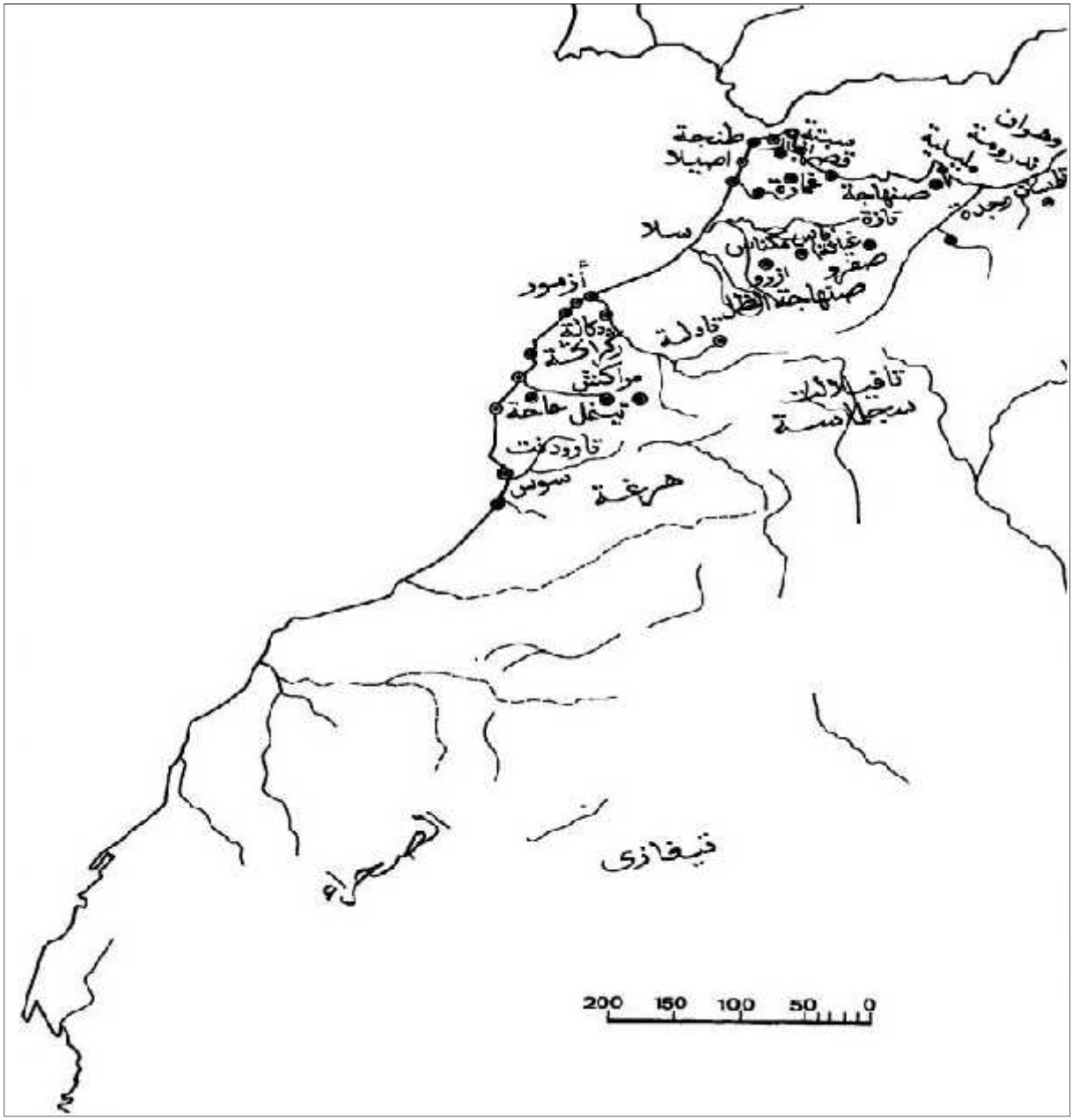

[1]– التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مج7، مرجع سبق ذكره، ص326.

الملحق رقم 03:

عقد هدنة بين مولاي أحمد الأعرج وملك البرتغال جان الثالث

بتاريخ 29 ديسمبر 1526م[1]

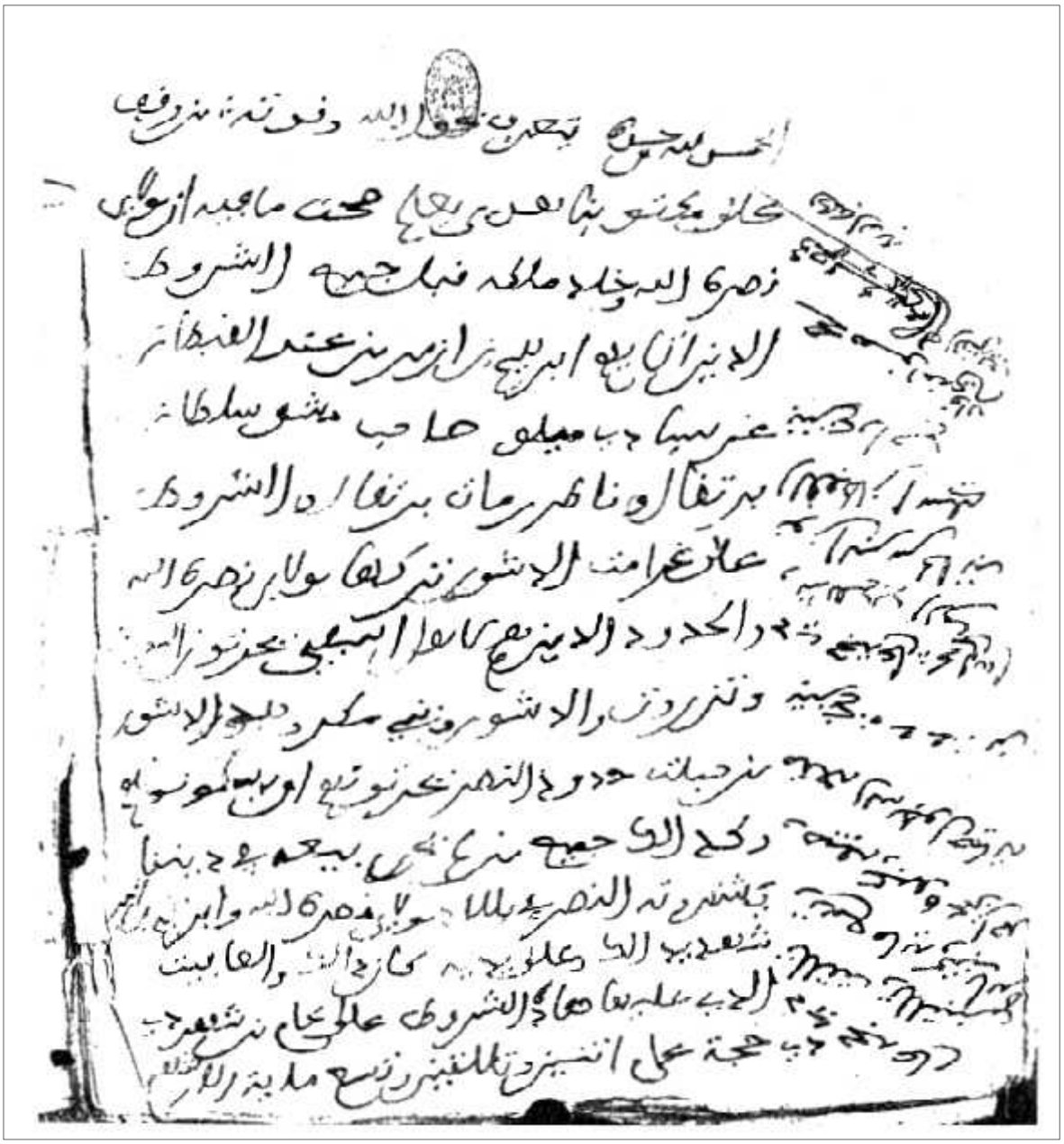

[1]– التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مرجع سبق ذكره، ص93.

الملحق رقم 04:

تطور أثمان القمح في المغرب الأقصى ما بين 1502 و1540م[1]

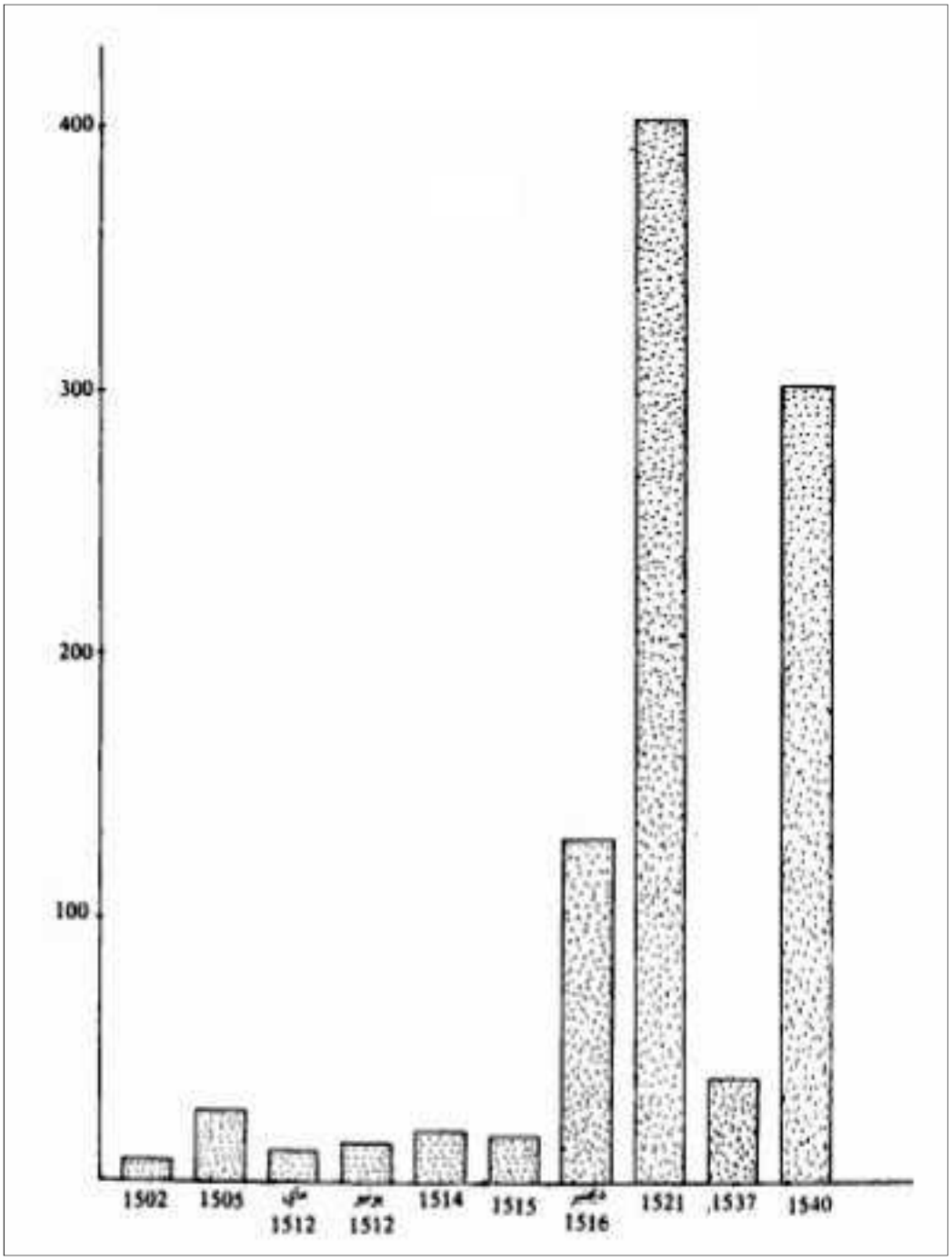

[1]– بو شرب، دكالة، مرجع سبق ذكره، ص289.

الملحق رقم 05:

رسالة أبي حسون إلى شارلكان ملك إسبانيا[1]

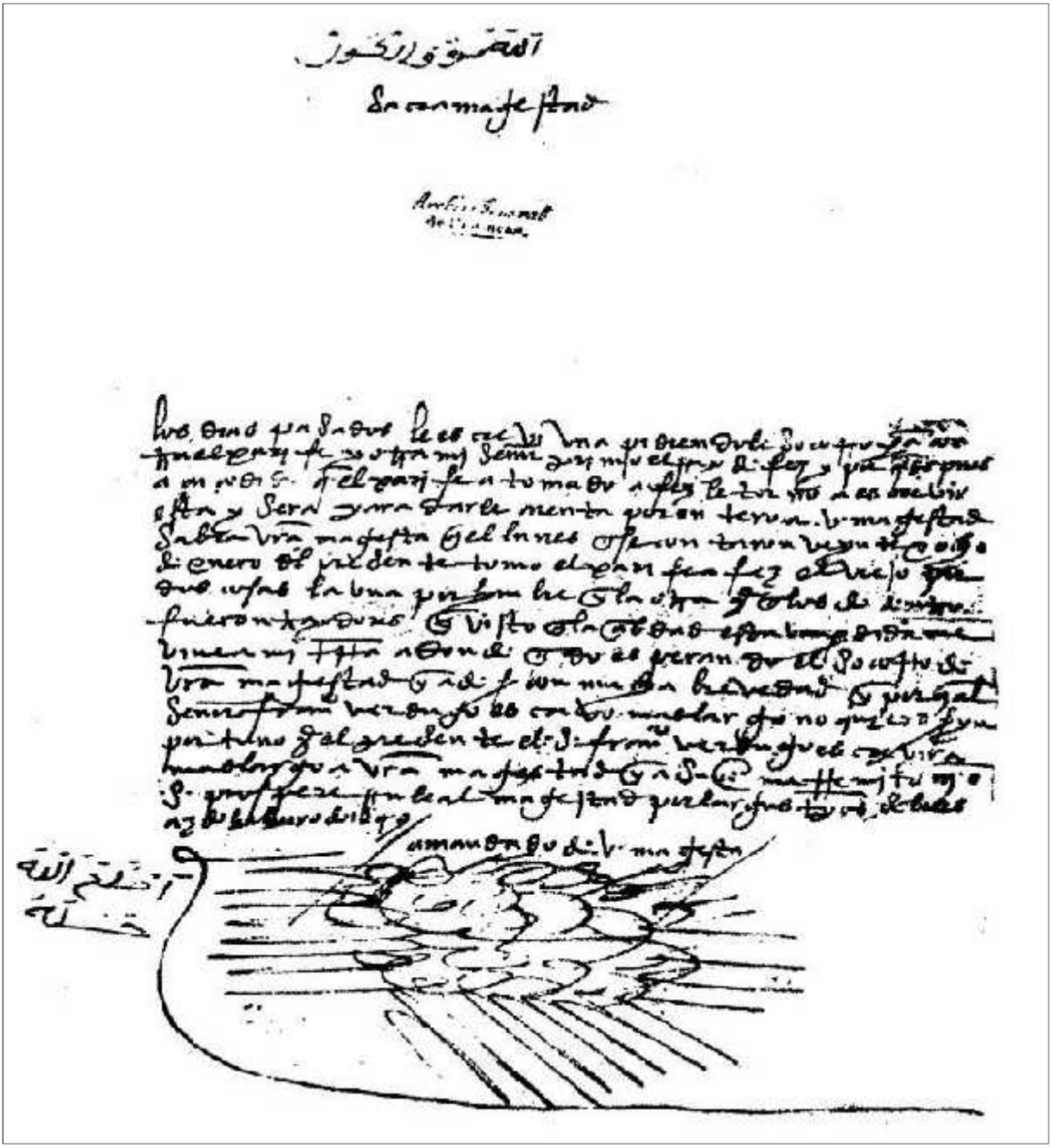

[1]– التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مرجع سبق ذكره، ص263.

الملحق رقم 06:

خريطة تبين تنقلات الجيش البرتغالي ومكان حدوث المعركة[1]

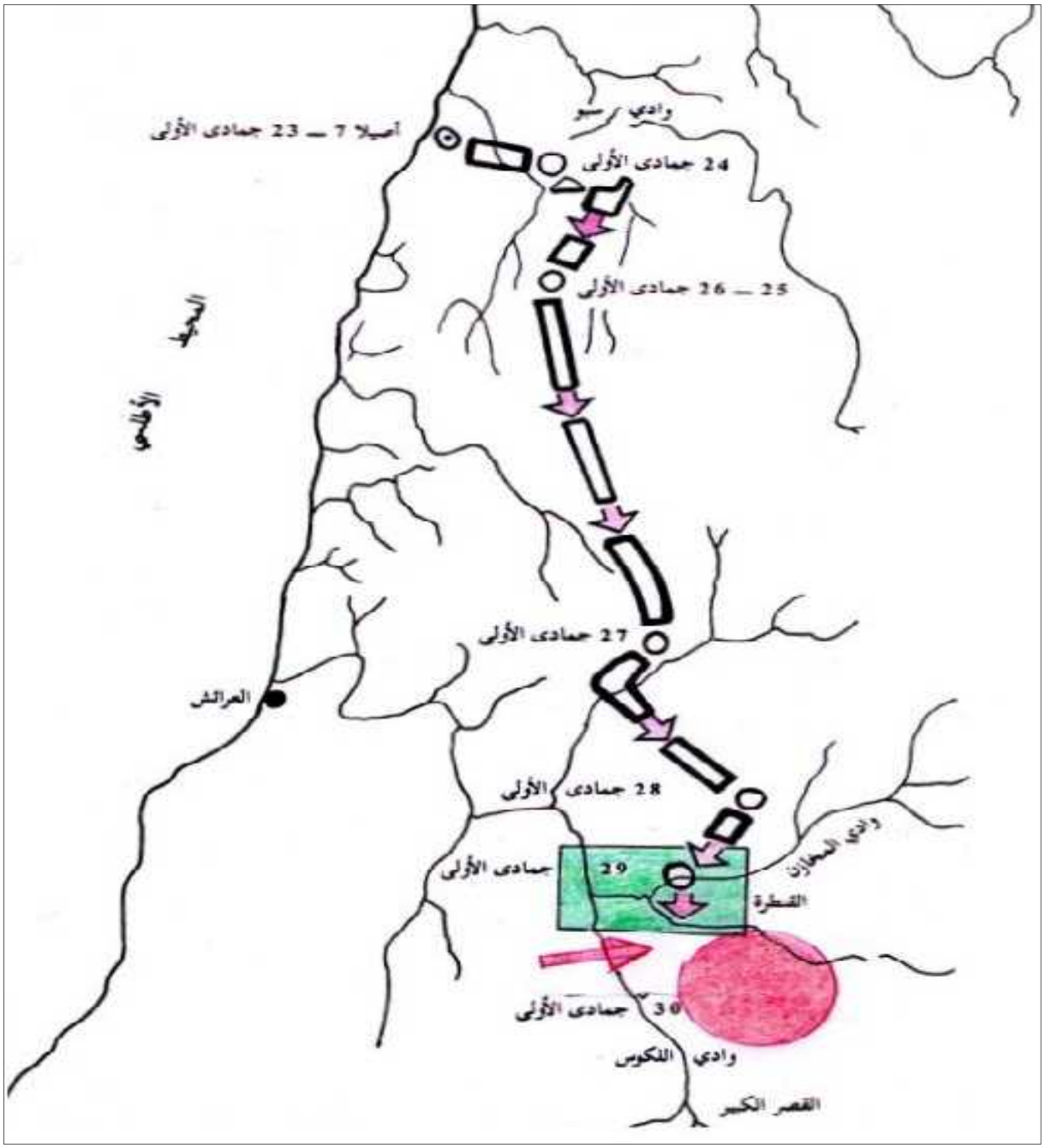

[1]– بن قومار، معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا، مرجع سبق ذكره، ص148

الملحق رقم 07:

كشف تعداد القوات البرتغالية والمغربية[1]

1 – القوات البرتغالية: بقيادة الملك سيبستيان	
تسعة آلاف جندي برتغالي	(9000)
ثلاثة آلاف ألماني	(3000)
ألفان فلمنكي	(2000)
أربعة آلاف فارس	(4000)
عشرة آلاف جندي إسباني	(10000)
ستمائة من العبيد	(600)
ثمانية بوارج برتغالية	(8) بوارج برتغالية
ستون غالير إسبانية	(60) غالير إسبانية
ست بوارج فرنسية	(6) بوارج فرنسية
ألف عرجي	(1000) يجرون العربات
مائتين مدفع :	(200مدفع)
المجموع : ثمانية عشر ألف وستمائة مقاتل (29600) حسب رواية هنري دوكاستري بينما المؤرخ الفرنسي شاربار فقد أشار إلى ثمانين ألف مقاتل) 80000) وأجمعت المصادر العربية أن تعداده كان ما بين مئة ألف ومائة وعشرين ألف مقاتل .	
2 – القوات المغربية : بقيادة عبد الملك السعدي[2]	
ثلاثة آلاف من جند الأندلس	(3000) بقيادة الدغالي .
ثلاثة آلاف من المشاة	(3000) .
خمسة وعشرون ألف فارس	(25000) .
ألف رام بالبنادق (أعلاج)	(1000)
ألف وخمسمائة من عساكر الجزائر	(1500)
ألف فارس متطوع وعدد كبير من المغامرين (1000)	
يدعمهم أربع وثلاثين مدفع (34) . المجموع : قيل أربعين ألف مقاتل وقيل ثمانين ألف مقاتل.	

[1]– بن قومار، معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا، مرجع سبق ذكره، ص149.

الملحق رقم 08:

تشكيلة الجيشين المغربي والبرتغالي في معركة وادي المخازن[1]

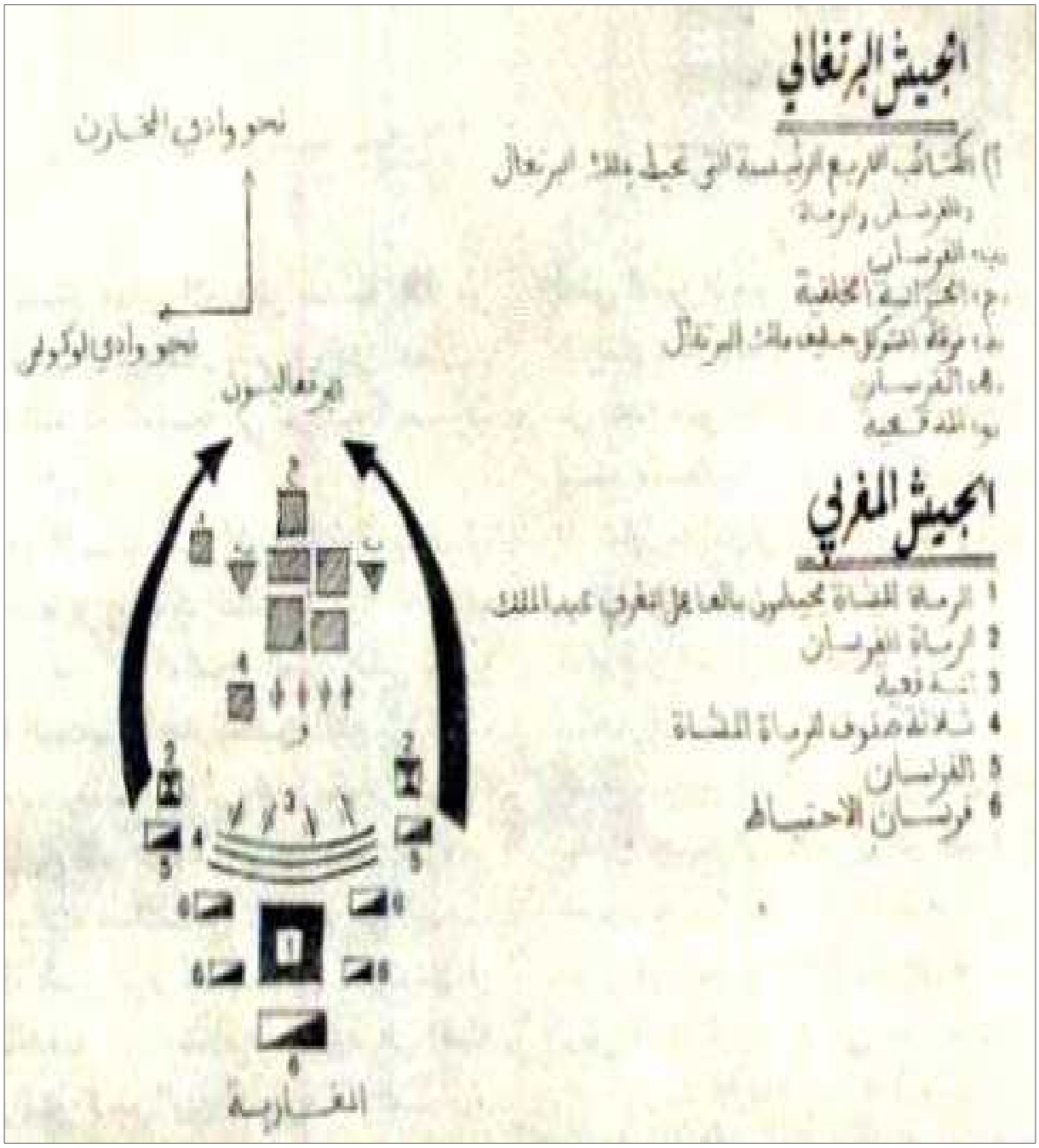

[1]– التازي، وقعت وادي المخازن بدون رقابة، مجلة دعوة الحق، ص28.

الملحق رقم 09:

خريطة توضح وقوع معركة وادي المخازن[1]

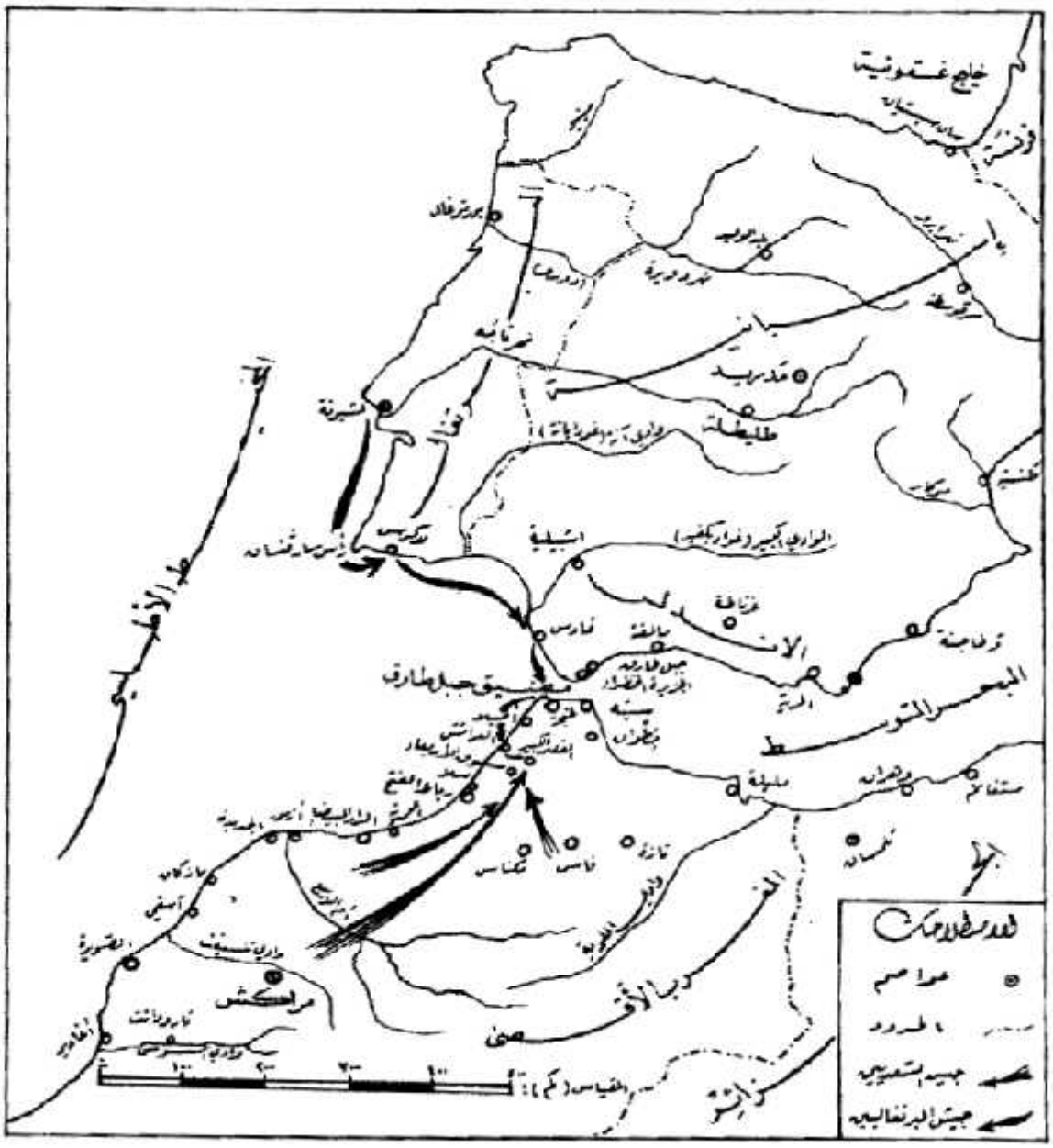

[1]– شوقي أبو خليل، وادي المخازن، مرجع سبق ذكره، ص48.

القائمة البيبليوغرافية

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم : رواية ورش عن نافع.

السنة النبوية الشريفة.

أ- المصادر العربية و المعربة:

1.ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق، محمد عبد المنعم العريان، ط1، بيروت، دار إحياء العلوم، 1987م، ج1.

2. ابن زيدان عبد الرحمان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**،الرباط، مكتبة السادة الأشراف، 1937م، ص55.

3.ابن عسكر محمد، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشّاييخ القرن العاشر** تحقيق، محمد حجي، ط2، الرباط، دار المغرب، 1977م.

4.أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997م، ج4، 5 ،6 .

5.الأفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تصحيح، هوداس مطبعة بردين، 1888م.

6. بابا أحمد التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تقديم، إشراف، عبد الحميد الهرامة ط1، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989م، ج1، 2.

7.بربروس خير الدين، **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة، محمد دراج، ط1، الجزائر شركة الأصالة، 2010م.

8. دييكودي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، تعريب، محمد حجّي، محمد الأخضر، الدار البيضاء الجمعية المغربية.

9. الزياني أبو القاسم، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، تحقيق، رشيد الزاوية، ط1، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1992م.

10. الفاسي علي بن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، الرباط، 1972م.

11. القشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق، عبد الكريم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية والثقافية.

12. كربخال مارمول لويس، **إفريقيا**، ترجمة، محمد حجي وآخرون، الرباط، دار النشر للمعرفة، 1989م، ج2.

13. الكردودي أبي العباس أحمد، **التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية** الرباط، المطبعة الملكية، 1963م.

14. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية**، إعداد، إدريس بوهليلة، ط1، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشّؤون الدينية، 2005م.

15. المقري أحمد بن محمد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1983م.

16. المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1988م، مج1.

17. مؤرخ مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم، تحقيق، عبد الرحيم بنحادة، ط1، مراكش، دار تينمل، 1994م.

18. مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ظبطه، الفريد البستاني، ط1 مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.

19. الوزان حسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ج1.

ب-المراجع العربية:

20. إبراهيم عيسى علي، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، الإسكندرية، دار المعرفة 2000م.

21. ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق، زهراء النظام، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1997م.

22. أبو خليل شوقي، **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير**، ط1، دمشق دار الفكر المعاصر، 1988.

23. أرسلان شكيب، **الحلل السندسية في أخبار وأثار الأندلسية**، ط1، مصر، المطبعة الرحمانية، 1936م.

24. إسماعيل محمود، **الأدارسة في المغرب الأقصى 172هـ-375هـ**، ط1، بيروت مكتبة الفلاح، 1989م.

25. أصاف عزتلو يوسف بك، **تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشاتهم حتى الآن** تقديم، زينهم محمد غرب محمود، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995م.

26. إلتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة، محمود علي عامر ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1989م.

27. أوتون يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة، عدنان محمود سلمان، تنقيح، محمود الأنصاري، ط1، تركيا، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988م، مج1.

28. إيرڤنغ واشنطن، **أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة، هاني يحي نصرى، ط1، مكتبة الإسكندرية، 2000م.

29. بن العربي الصديق ، **تاريخ المغرب** ، ط3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1984م

30. بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي**، الجزائر، دار الأصل، 2006م، ج1.

31. بوشرب أحمد، **دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور**، ط1، دار الثقافة، 1984م.

32. بوشرب أحمد، **مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر**، ط1، الرباط منشورات كلية الأداب، 1996م.

33. بوشرب أحمد، **وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه**، ط1، الرباط، دار الأمان، 1997م.

34. التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المحمدية، مطابع فضالة، 1988م، مج7، مج8.

35. الجمل شوقي عطا الله، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** ليبيا-تونس الجزائر-المغرب، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م.

36. حتاملة محمد عبده، **الإعتداءات الإفرنجية الصليبية على ديار العرب في الأندلس والمشرق**، ط1، عمان، الجامعة الأردنية، 2001م.

37. حتاملة محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، عمان، مصالح الدستور التجارية، 2000م.

38. حتاملة محمد عبده، **التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولكيين 1474-1516م**، ط1، عمان، الجامعة الأردنية، 1980م.

39. حتاملة محمد عبده، **محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها**، ط1 الأردن، دار الشعب، 1977م.

40. حجي عبد الرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة** ط2، دمشق، بيروت، دار القلم، 1981م.

41. حجي محمد، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، مطبعة فضالة، 1978م ج2.

42. حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة 1978م، ج2.

43. حليم إبراهيم بك، **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، ط1، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية 1988م.

44. حومد أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1988م.

45. خروبي عفيفة، **أصول أبي العباس الونشريسي من خلال المعيار المعرب**، الجزائر القافلة للنشر والتوزيع.

46. خير فارس محمد، علي عامر محمود، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، المغرب « المغرب الأقصى-ليبيا »، جامعة دمشق، 1999م، ج1.

47. داود محمد، **تاريخ تطوان**، تطوان، المغرب، معهد مولاي حسن، 1959م، مج2.

48. دوميقير هورتز أنطونيو، بنثنت برنارد ، **تاريخ مسلمي الأندلس المرسكيون حياة... ومأساة أقلية**، ترجمة، عبد العال صالح طه، تنقيح، محمد محي الدين الأصفر، ط1 الدوحة، دار الشروق، 1988م.

49. الذنون عبد الحكيم، **أفاق غرناطة**، ط1، دمشق، دار المعرفة، 1988م.

50. رزوق محمد، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م**، ط3، دار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1998م.

51. رزوق محمد، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق، 1991م.

52. سعيدوني ناصر الدين، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ولاية المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس**، ط2، الجزائر، البصائر للنشر والتوزيع.

53. السيد أشرف محمد صالح، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، ط1، دار وإتا للنشر الرقمي، 2009م.

54. الشاذلي عبد اللطيف، **الحركة العياشية**، ط1، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1982م.

55. شاكر محمود، **الكشوف الجغرافية دوافعها وحقيقتها**، ط2، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، 1988م.

56. الصلابي علي محمد محمد، **صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة المرابطين)**، عمان دار البيارق.

57. عباس إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ط1، عمان، دار الشروق، 1997م.

58. عقاد محمود، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، ط6، الجزائر، مكتبة أخلو المصرية، 1993م.

59. عنان محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997م.

60. العيدروس محمد حسن، **العصر الأندلسي**، ط1، القاهرة، دار الكتاب الحديث 2011م.

61. الغرب موسى عايدة، **قرن الرعب الإفريقي الغزو والمقاومة**، ط1، مصر، دار البشير 2014م.

62. فيشر هربرت، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، ترجمة، زينب عصمت راشد وآخرون ط3، القاهرة، دار المعارف، 2001م.

63. القبلي محمد، **تاريخ المغرب**، ط1، الرياض، منشورات المعهد الملكي، 2011م.

64. الكانوني محمد بن محمد العبدي، **أسفي وما إليه قديما وحديثا**.

65. كريم عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، الرباط، جمعية المؤرخين المغاربة، 2006م.

66. الكنسوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجيش العرمرم الخماسي**، تقديم، أحمد بن يوسف الكنسوسي، مراكش، مطبعة الوراقة الوطنية، ج1.

67. لوترنو روجييه، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة، نيفولا زيادة، بيروت، مؤسسة فرانكلين، 1967م.

68. الهريدي فرغلي علي يتسن، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف والإستعمار والإستقلال**، ط1، الإسكندرية، العلم والإيمان، 2008م.

69. يحياوي جمال، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس**، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م.

2- المراجع الأجنبية:

70. Diffie Bailey, wlinus george, **the formation of the portuguese colonial Empire**, London, 1920.

71. Frances Gardiner Davenport, **European treaties bearing on the History of the United States and its Dependencies to 1648** wachingtion, 1917.

72. Fray Diego de Haëdo, **Histoire des Rois d'alger, Adelphie jourdan Librairie éditeur**, Paris, 1881.

3- الرسائل الجامعية:

73. إيمان لعراب، مهدية دحموني، **الهجرة الأندلسية وتأثيرها على المغرب الأقصى من القرن 16م إلى القرن 19م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة 2016-2017م.

74. بن قومار جلول، **معركة وادي المخازن وأثرها على العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا: البرتغال-إسبانيا-فرنسا 986هـ-1578م/1012هـ-1603م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة غرداية، 2010-2011م.

75. سمراء بحري، سميرة بشير شريف، **معركة وادي المخازن وتأثيرها على أوضاع المغرب الأقصى 986هـ-1578م/ 1012هـ- 1603م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة خميس مليانة، 2015-2016م.

4- المجلات والمقالات:

76. أعراب سعيد، «موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب»، **مجلة دعوة الحق** وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، العدد8، 1978م.

77. التازي عبد الهادي، «وقعة وادي المخازن بدون رقابة»، **مجلة دعوة الحق**، العدد8 1978م.

78. الجراري عبد الله، «وقعة وادي المخازن 1578م»، **مجلة دعوة الحق**، الرباط، العدد8 1978م.

79. حجي محمد، «العلاقات المغربية التركية في القرن السادس عشر»، **مجلة دعوة الحق** ،الرباط، العدد25 1982م.

80. العافية عبد القادر، «الإحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن»، **مجلة دعوة الحق** الرباط، العدد8، 1978م.

81. الفاسي محمد، «إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن»، **مجلة دعوة الحق**، الرباط، العدد8، 1978م.

82. الفاسي محمد، «سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديما وحديثا»، **مجلة دعوة الحق** الرباط، العدد8، 1982م.

5- القواميس والموسوعات:

83. بنعبد الله عبد العزيز، **الموسوعة المغربية لأعلام البشرية والحضرية**، المحمدية، دار الحديث الحسنية، 1981م، ج4.

84. الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس التراجم**، ط15، بيروت، دار العلم للملايين 2002م، مج2، 5.

85. مقلد الغنيمي عبد الفتاح، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي 1994م، ج6.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير.....	
الإهداء.....	
قائمة المختصرات.....	
مقدمة.....	أ–هـ
الفصل الأول: العلاقات البرتغالية المغربية أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشرميلادي.....	08
المبحث الأول: أوضاع البرتغال السياسية.....	09
1. في عهد جان الثاني 1477–1495م.....	09
2.في عهد مانويل الأول 1495–1521م.....	10
3.في عهد جان الثالث 1521–1558م	10
4.التنافس البرتغالي الإسباني في توسيع مناطق النفوذ.....	11
1.4.توحيد مملكتي قشتالة والأراغونة.....	12
2.4. سقوط غرناطة.....	13
3.4. مصير الأندلس بعد سقوط غرناطة.....	16
4.4. تقسيم مناطق النفوذ بين إسبانيا والبرتغال.....	18
5.4. الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى.....	19
1.5.4. أسباب الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى.....	19
1.1.5.4. الأسباب الدينية.....	19
2.1.5.4.الأسباب الإجتماعية.....	20
3.1.5.4.الأسباب الإقتصادية.....	20
4.1.5.4.الأسباب الإستراتيجية.....	21
2.5.4. نتائج الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى.....	22
3.5.4. رد الفعل المغربي ضدّ الإحتلال البرتغالي.....	22

المبحث الثاني: أوضاع المغرب السياسية أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي.....	24
1. الصراع المريني الوطاسي.....	24
2.بداية الحكم الوطاسي المباشر 1472–1554م.....	25
1.2. المغرب الاقصى في عهد محمد الشيخ الوطاسي.....	26
1.1.2. الهدنة البرتغالية الوطاسية.....	27
2.1.2. موقف مسلمي الأندلس من السياسة الوطاسية.....	28
3.1.2.نقض الهدنة والإحتلال البرتغالي للسواحل المغربية.....	30
1.3.1.2. إحتلال ساحل البريجة وأغادير.....	30
2.2.المغرب الأقصى في عهد محمد البرتغالي.....	31
1.2.2. التوسع البرتغالي في عهده.....	32
1.1.2.2. إحتلال أسفي والصويرة.....	32
2.1.2.2. إحتلال أزمور والمعمورة.....	33
2.2.2.محاولة إسترجاع بعض المدن المحتّلة.....	34
1.2.2.2. التحالف السعدي الوطاسي في مواجهة البرتغاليين.....	34
الفصل الثاني: السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى من 1523 إلى 1554م..	38
المبحث الأول: السياسة البرتغالية في عهد أبو العباس أحمد الوطاسي.....	40
1. الهدنة بين أحمد الوطاسي وملك البرتغال جان الثالث.....	40
2. التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والبرتغال.....	42
1.2. إهتمام البرتغال بالمنتوجات المغربية.....	44
3. التحالف السعدي البرتغالي.....	45
المبحث الثاني: الصراع السعدي الوطاسي.....	47
1. المجابهات العسكرية بين الطرفين.....	48
1.1. النزاع بين الاخوين محمد الشيخ و أحمد الأعرج.....	50

2.1. الصراع بين محمد الشيخ وأبي حسون.....	51
1.2.1. دور البرتغال والإسبان في الصراع السعدي الوطاسي.....	53
2.2.1. الصراع حول مدينة فاس.....	55
1.2.2.1. الدعم التركي لأبي حسون في إسترجاع فاس.....	55
2.2.2.1.الدخول الثاني لمحمد الشيخ السعدي إلى مدينة فاس.....	58
الفصل الثالث: السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى بعد 1554م.....	62
المبحث الأول: السياسة البرتغالية من 1554م–1578م.....	63
1. عهد محمد الشيخ السعدي 1554م–1557م.....	63
1.1. سياسة محمد الشيخ الداخلية.....	63
2.1. التحالف السعدي الإسباني البرتغالي.....	65
2. عهد عبد الله الغالب 1557م–1574م.....	68
1.2. سياسة عبد الله الغالب الداخلية.....	68
2.2. التحالف السعدي البرتغالي الإسباني.....	70
3. عهد محمد المتوكّل 1574م–1576م.....	72
1.3. سياسته الداخلية.....	72
2.3. سياسته مع البرتغال والإسبان.....	74
4. عهد عبد الملك 1576م–1578م.....	75
1.4. علاقته مع البلاط الإسباني.....	76
2.4. علاقته مع البلاط البرتغالي.....	77
3.4. علاقته مع البلاط العثماني.....	77
المبحث الثاني: معركة وادي المخازن 1578م.....	78
1. دوافع المعركة.....	79
1.1. الدوافع الدينية.....	79

2.1. الدوافع السياسية.....	79
3.1. الدوافع الإستراتيجية.....	80
2. حيثيات المعركة.....	80
1.2. إستعدادات الطرفين.....	80
2.2. ميزان القوى لكلا الطرفين البرتغالي والمغربي.....	84
1.2.2. الجيش البرتغالي.....	84
2.2.2. الجيش المغربي.....	85
3.2. مسار المعركة.....	86
4.2. نتائج المعركة.....	90
1.4.2. بالنسبة للجانب المغربي.....	90
2.4.2. بالنسبة للجانب البرتغالي.....	92
3. السياسة البرتغالية في عهد أحمد المنصور.....	93
خاتمة.....	و – ز
الملاحق.....	100
قائمة البيبليوغرافيا.....	110
فهرس الموضوعات.....	

الملخص

الملخص:

إتخذت السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي عدّة مظاهر وأشكال تمثلت في إحتلال السواحل المغربية تزامنا مع ضعف السلطة الوطاسية في البلاد، هذا ما أعطى للإحتلال البرتغالي دفعا قويا في مواصلة السيطرة على جلّ الثّغور المغربية، إلاّ أن تصاعد حركة الجهاد في المنطقة بقيادة الطرق الصوفية التي حمل رايتها فيما بعد الأشراف السعديين الذين كبدوا البرتغال خسائر فادحة أجبرتها على التخلي عن بعض المراكز المحتلة، الأمر الذي دفعها إلى إنتهاج إستراتيجية جديدة قائمة على التحالفات وعقد عدّة إتفاقيات تجارية مع مختلف الأطراف المتنازعة على حكم المغرب الأقصى، كل ذلك يندرج ضمن السياسة البرتغالية الإستطانية التي إنتهت بمعركة فاصلة في تاريخ المغرب سنة 1578م.

Résumé

Il a pris la politique portugaise au Maroc à la fin du XVe siècle et le début du XVie siècle AD plusieurs manifestations et formes, était l'occupation de la côte marocaine pour coïncider avec la faiblesse du pouvoir Aloutasah dans le pays, ce qui a incité l'occupation portugaise de continuer à contrôler la majeuse partie des palais marocaines, mais l'scalade du Jihad dans la région dirigée par les ordres soufis, qui portent sa surveillance plus tard saadines, Portugal qui ont infligé de lourdes pertes ont forcé à renoncer à certaines centres occupés, et c'est ce qui a poussé à une nouvelle stratégie a adopté une politique fondée sur des alliances et ont tenu plusieurs accords commerciaux avec différents cadres contestant la règle du Maroc au mascimum, tout ce qui relève de la politique portugaise de Alasttanih, qui mit fin à la bataille d'une virgule dans l'histoire du Maroc en 1578AD.

Abstract

The Portuguese policy in Morocco at the end of the fifteenth century and the beginning of the sixteenth century AD took several forms and forms of occupation of the Moroccan coasts in conjunction with the weakness of the stationery authority in the country. This gave the Portuguese occupation a strong impetus to continue to control the majority of the Moroccan stables. The Jihad movement in the region led by the Sufi roads, which carried the post-Saadian supervision that caused Portugal heavy losses forced them to abandon some of the occupied centers, which led to the adoption of a new strategy based on alliances and the conclusion of several trade agreements With its various conflicting parties to govern Morocco maximum, all that falls within the Portuguese policy Alasttanih, which ended the battle of a comma in the history of Morocco in 1578.